بسم الله الرحمن الرحيم

غزوات النبي (صلى اللّه عليه وسلم) وأثرها في الدعوة إلى اللّه تعالى

دكتور عثمان محمد دفع اللّه علي القُرجي

الإهـــداء

*إلى من علمني النجاح والصبر ...إلى من افتقدته في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه...أبي الشفوق العطوف ،الذي علمنا نكران الذات والعمل من أجل الناس ، وزرع فينا القيم النبيلة الفاضلة ،اللهم أغفر له وارحمه وتقبله في جناتك[1]...

*وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ، وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه ، وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي .. أمي الحنونة ، اللهم أغفر لها وارحمها وتقبلها في جناتك [2]...

*وإلي روح أخي وشقيقي وحبيبي هاشم الذي رحل عنا باكراً ،اللهم أغفر له وارحمه[3]..

*وإلى من يضيئون لي الطريق ،ويساندونني ويتنازلون عن حقوقهم لإرضائي والعيش في هناء ،أسرتي الصغيرة (الأستاذة مها علي ومحمد ومصطفي ورغد وعلي وهاشم) ،نسأل الله أن يحفظهم وينفع بهم البلاد والعباد ...

*وإلي أخوتي الأستاذ فضل المرجى وحاتم والدكتور معتصم والباشمهندس الوسيلة ، وإلي أخواتي نورة والأستاذة عائشة والأستاذة نعمات وسلوي ومنيرة ، احفظهم جميعاً يا الله ...

أقول لهم جميعاً :والله إني أحبكم حبا جماً لو مر على أرض قاحلة جرداء ، لتفجرت منها ينابيع المحبة والود والاحترام ، أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة.

*وإلي كل باحث عن الحقيقة في كل دروب المعرفة .

المؤلف

الخرطوم ،الحاج يوسف الكلس ،السبت ٢٠١٧/١٠/٧م

---

[1]. توفي يوم الخميس ٣٠/رمضان/١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٠/٩/٨م .

[2]. توفيت يوم الأحد ٧/شوال/١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٧/٠٢م .

[3]. توفي يوم الأربعاء ١٩٨٨/١/١٩م .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل إلى الخلق رسلا ، دعوهم إلى دينه والولوج إلى بابه ، ليكونوا جلوسا إلى مائدته بعد دخولهم تلك الدار التي هيأها ، وبدت رياحها تهب على بعض القلوب ، فوجدوا لها راحة ، فأرادوا أن يكرموا الآخرين بأن ينتظرهم ذلك المكب المتعطر برياح الجنة ، حيث دعوا إلى الكتاب والسنة ، فكانت الدعوة هما من انتظمته خيرية الأمة .

والصلاة والسلام على من بذل نفسه في سبيل الدعوة إلي الله تعالي ، حتى كسرت رباعيته وشج وجهه ، وكان اقرب الناس للعدو إذا حمى الوطيس ، وأكثر الناس اندفاعا إلى خوض الوغى إذا اشتدت على ساقها الحرب ، وعلى آله وصحبه الذين قدموا نفوسهم وفاءاً بالمبايعة ، وشراءً للجنة ، حيث هي أغلي سلعة .

أما بعد فقد هبت على قلبي رياح التوفيق بان ارتبطت بالسيرة النبوية ، حيث هي المنهج والطريق الأقوم ، وتكيفت بها ، فنهضت مني العزيمة للتعبير عن قيمتها من خلال إعداد هذا الكتاب ، توغلاً في سير السيرة تقويماً للمسيرة ، واقتداءً بما رفع من راية ، لبلوغ اجل وغاية ، لان التأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو المأمول والغاية ، وكانت مطالعتي للسيرة النوبية حافزاً لتقديم هذا الكتاب ، من خلال الوقوف على الأثر الدعوي في غزواته (صلى الله عليه وسلم) وكان ما لمحته من عدم الضعف والاستكانة ، لما أصاب أولئك الرجال جديراً

بأن يقدم في طبق من نور ، حتى يكون لقاء العدو أشهى من الشهد ، دفاعاً من حياض الإسلام ودفعاً للفتور عن النيام ، وإيقاظا لهمم المستيقظين ، معتبرا هذا الكتاب وسيلة من وسائل الاسترضاء للرب ، وتحليا بما تجتمع عليه من أخلاق الثبات والبذل والإقدام ، حيث المثل الأعلى من تلك السيرة مستفاد ، حتى نتمكن من إدراك الماضي ، ليكون بالعزة معاد ، وما يلوح لي من تلك الغزوات كأنه بدور نيران ، أو شموس متوهجات ، فلهفت إلى استجلائها النفس واطلعت بسكانها على كؤوس العلم الهمة.

ولقد اخترت عنوان هذا الكتاب لعدة اسباب منها :

١. إبراز الأثر الدعوي للغزوات ، حتى يتبين إن الجهاد من أهم وأعظم وسائل الدعوة ، من خلال كسرها لشوكة الطغاة الذين يحولون بين الناس وبين الدخول في الإسلام.

٢. بيان التضحية التي قام بها النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته وليظهر قدر وعظمة هذا الدين .

٣. محاولة للتذكير بهذه المعاني السامية لتلك الغزوات الخالدة ، حتى يستذكر بها الغافلون ، ويعلم فضلها في الدعوة الجاهلون.

ولقد استخدمت المنهج الوصفي التاريخي ، والطريقة الاستقرائية ، حيث تتبعت غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) من مصادرها

الأصلية ، واستخرجت منها عبرها ودورها في الدعوة ، وضبطت كل الآيات القرآنية بالشكل على ما يوافق رواية حفص([٤])عن عاصم([٥]).

قمت بتتبع الغزوات التي خرج فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواء حدث فيها قتال أم لم يحدث ، وأما ما لم يخرج فيها فتلك سرايا ، وليست غزوات فلذلك لم أتعرض لها ، كسرية مؤتة .

هيكل الكتاب:

اشتمل هذا الكتاب على الموضوعات التالية :

الإهداء

المقدمة

الفصل الأول : التعريف بالمصطلحات

المبحث الأول: تعريف الغزوة .

المبحث الثاني : تعريف السرية .

المبحث الثالث : تعريف الدعوة وبيان فضلها وحاجة الناس إليها .

الفصل الثاني: اثر الغزوات في الدعوة من الهجرة إلى صلح الحديبية.

المبحث الأول: غزواته من السنة الأولى إلى الثانية من الهجرة

المبحث الثاني: غزواته من السنة الثالثة إلى الرابعة من الهجرة .

---

[٤]. هو حفص بن سلمان بن المغيرة البزاز الكوفي يكنى أبا عمرو قرأ على عاصم وروايته مشهورة في معظم أرجاء العامل الإسلامي توفى سنة ١٨٠هـ غاية النهاية ج١/٢٥٤ .

[٥]. هو ابوبكر عاصم بن أبي النجود الاسادي الحناط كان مولى لبني خزيمة بن مالك بن النضر هو تابعي روى عن أبي رمثة الصحابي وأبي عبد الرحمن السلمي روى عنه حفص بن سليمان وشعبه وكان أفصح الناس بالقراءة وأوثقهم في الرواية وهو شيخ القراء في الكوفي واحد القراء السبعة مات سنة ١٢٧هـ غاية النهاية ج١/ ٣٤٦ .

المبحث الثالث: غزواته من السنة الخامسة إلى السابعة من الهجرة .

الفصل الثالث: اثر الغزوات في الدعوة من السنة السابعة إلى وفاته .

المبحث الأول: غزواته في السنة السابعة من الهجرة .

المبحث الثاني: غزواته في السنة الثامنة من الهجرة .

المبحث الثالث: غزواته في السنة العاشرة من الهجرة .

الخاتمة التي تتضمن النتائج والتوصيات .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

الفصـــل الأول : التعـــريف بالمصـطلحات

المبحث الأول: تعريف الغزوة .

المبحث الثاني : تعريف السرية .

المبحث الثالث : تعريف الدعوة وبيان فضلها وحاجة الناس إليها .

المبحث الأول

تعـــــريف الغـــــــزوة

أولاً: تعريفها لغة :

الغَزْوَةُ: المرّةُ من الغزوِ والاسم: الغَزَاة ، وجمع الغازي : غُزاة وغُزَّى وغِزِيٌّ وغُزَّاء. والمغزاة: موضع الغزو([٦]).

وقال صاحب القاموس: (الغزوة ما غزي وطلب)(٧) .

وقال صاحب اللسان: (غزاه غزواً، أراده وطلبه وقصده)([٨]) .

وقال الحافظ بن حجر :(المغازي جمع مغزى، يُقال: غزا يغزو غزوًا، وأصل الغزو القصد)([٩]) .

عليه يمكن القول بأن الغزوة في اللغة تعني القصد والطلب والإرادة .

ثانياً: تعريفها اصطلاحاً:

عرفها الزرقاني([١٠]) بأنها: (كل عسكر حضره النبي "صلى الله عليه وسلم" بنفسه يسمى غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو يسمى سرية أو بعثاً)(١١).

---

[٦]. النهاية لابن الأثير ٣/٣٦٦.

[٧]. فتح الباري ٦/٢٧٩.

[٨]. لسان العرب: غزا .

[٩]. فتح الباري، ٦/٢٧٩.

إذن الغزوة هي التي شارك فيها رسول الله (صلّى الله علية وسلّم) ، وكانت بقيادته وقد انتصر المسلمون في كافّة الغزوات باستثناء غزوة أحد بسبب مخالفة الرماة على جبل أحد لأوامر الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، حينما رأوا المعركة قد انجلت لصالح المسلمين وبدأ الصحابة في جمع الغنائم ، فتركوا مواقعهم مما جعل جيش خالد بن الوليد يتدخل من الخلف فكانت الهزيمة ، وذُكر أيضاً أنّ الملائكة كانت تشارك الرسول (صلي الله عليه وسلم) في غزواته ، فكانوا يقاتلون من حوله ويحمونه .

الغزوة هي الذهاب إلي قتال العدو ، وجمعها غزوات ، والغزوات تطلق علي غزو العدو في بلاده ومحاربته ، وعرفت كلمة الغزوات في عصر النبي (صلي الله عليه وسلم) ، وقد عرفت بغزوات العصر النبوي ، وقد ظهرت مع ظهور العصر الاسلامي ، أي بمعني أنها ظهرت في القرن السابع الميلادي ، وبعدما شرع المسلمين الجهاد فقد اطلقت عليها في البداية بالغزوات باختلاف أهداف الغزوة ، ولكن جميعها لتحقيق أهداف دينية ، وكانت عبارة عن جهاد في سبيل الله ومحاربة الكفار .

---

[١٠]. الإمام الزرقاني هو محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، أبو عبد الله ، الإمام الفقيه الفهامة المتفنن ، المحدث الرواية المسند المؤلف المتقن ، من مؤلفاته (شرح الموطأ) و(شرح المواهب اللدنية للزرقاني) وغير ذلك مات سنة١١٢٢هـ. له ترجمة في: شجرة النور الزكية ٣١٨/١-٣١٩رقم ١٢٣٧.

[١١]. شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣٨٧/١.

وَلَا يُطْلَقُ اسْمُ الْغَزْوَةِ وَمِثْلُهَا الْغَزَاةُ وَالْمَغْزَى إِلَّا عَلَى مَا تَوَلَّاهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِنَفْسِهِ مِنْ قَصْدِ الْكُفَّارِ إِلَى حَيْثُ كَانُوا مِنْ بِلَادِهِمْ أَوْ غَيْرِهَا .

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي مِنْ صَحِيحِهِمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ : كَمْ غَزَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ غَزْوَةٍ ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ . وَسَأَلَهُ : كَمْ غَزَا مَعَهُ ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ ، قَالَ الْحَافِظُ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ عِنْدَ قَوْلِهِ تِسْعَ عَشْرَةَ : كَذَا قَالَ ، وَمُرَادُهُ الْغَزَوَاتُ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِنَفْسِهِ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ ، لَكِنْ رَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عَدَدَ الْغَزَوَاتِ إِحْدَى وَعِشْرُونَ ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ ، فَعَلَى هَذَا ، فَفَاتَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ذِكْرُ ثِنْتَيْنِ مِنْهَا ، وَلَعَلَّهَا الْأَبْوَاءُ وَبُوَاطٍ ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ لِصِغَرِهِ(١٢) ..

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ أَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَاتَلَ بِنَفْسِهِ فِي ثَمَانٍ : بَدْرٍ ثُمَّ أُحُدٍ ثُمَّ الْأَحْزَابِ ثُمَّ الْمُصْطَلِقِ ثُمَّ خَيْبَرَ ثُمَّ مَكَّةَ ثُمَّ حُنَيْنٍ ثُمَّ الطَّائِفِ ، قَالَ وَأَهْمَلَ غَزْوَةَ قُرَيْظَةَ ؛ لِأَنَّهُ ضَمَّهَا إِلَى الْأَحْزَابِ ؛ لِكَوْنِهَا كَانَتْ فِي أَثَرِهَا ، وَأَفْرَدَهَا غَيْرُهُ لِوُقُوعِهَا مُنْفَرِدَةً بَعْدَ هَزِيمَةِ الْأَحْزَابِ ، وَكَذَا وَقَعَ لِغَيْرِهِ عَدُّ الطَّائِفِ وَحُنَيْنٍ وَاحِدَةً

---

١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا(الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٠م ، ج١٠ص٢١٨.

لِتَقَارُبِهِمَا ، فَيَجْتَمِعُ عَلَى هَذَا قَوْلُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَقَوْلُ جَابِرٍ ، وَقَدْ تَوَسَّعَ ابْنُ سَعْدٍ فَبَلَغَ عَدَدُ الْمَغَازِي الَّتِي خَرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ ، وَتَبِعَ فِي ذَلِكَ الْوَاقِدَيَّ ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا عَدَّهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُفْرِدْ وَادِيَ الْقُرَى مِنْ خَيْبَرَ ، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ السُّهَيْلِيُّ ، وَكَأَنَّ السِّتَّةَ الزَّائِدَةَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.. إِلَخْ ، وَوَضَّحَ الْحَافِظُ هَذَا الْبَسْطَ مِنْ جَانِبٍ ، وَتَدْخُلُ بَعْضُ الْمَغَازِي الْمُتَقَارِبَةِ فِي بَعْضٍ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، فَكَانَ خَيْرَ جَمْعٍ بَيْنَ الْأَقْوَالِ(١٣).

قال ابن هشام : (وكان جميع ما غزا رسول الله " صلى الله عليه وسلم" بنفسه سبعًا وعشرين غزوةً ، منها غزوة ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رضوي ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الّتي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي: غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بحران معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالاً ، فصدّه

---

١٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا(الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٠ م ج١٠ص٢١٨.

المشركون ، ثم غزوة خيبر ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك ؛ قاتل منها تسع غزوات : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف ؛ وكانت بعوثه "صلى الله عليه وسلم" وسراياه ثمانيًا وثلاثين من بين بعث وسرية ، غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة ، ثم غزوة حمزة ابن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية "العيص" ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة وغزوة سعد بن أبي وقاص الخزار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد ابن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرّجيع وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذي القصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر وغزوة علي بن أبي طالب اليمن وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث بالكديد ؛ فأصاب بني الملوح)([١٤]) .

[١٤]. انظر السيرة النبوية لابن هشام .

المبحث الثاني

تعـــــريف الســـــــرايا

أولاً : السرايا في اللغة .

والسرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية هي التي تخرج بالليل(١٥) ، وهي فعيلة بمعنى فاعلة ، سميت سرية لأنها تسري ليلاً في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا ويمتنعوا(١٦) .

سرية مفردة جمعها سريات وسرايا ، يقال :سرينا سرية واحدة والاسم (السرية بالضم) والسُري ، والسُراة ، وقيل : هو اسم أيضا والمصدر سُري ، والسرياةُ : سدي الليل وهو المصدر ، والجمع سرية ، والسرية قطعة من الجيش لأنها تسري في الليل خفيةً لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا(١٧) .

سريةُ : سريتُ الليل وسريتُ بهم سرياً والاسم السراية إذا قطعته بالسير ، وأسريتُ بالألف لغة الحجازية ويستعملان متعديين بالباء إلي مفعول ، ويقال : سريتُ بزيدٍ وأسريتُ به والسرية بضم السين وفتحها

---

١٥. الفتح ٥٦/٨.

١٦. اللسان مادة (سرا)

١٧. تاج العروس في جواهر القاموس ، عبدالرازق الزبيدي ، مجموعة من المحققين ، (دار الهداية ،بدون بلد) ج٣٨ص٢٦١ .

أخص يقال : سرينا سرية من الليل والجمع السري أول الليل وأوسطه وأخره([١٨]) .

ثانياً :السرايا اصطلاحا .

لقد تعددت تعريفات السرية بعدة تعريفات ، ومنها :

١. السرية الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو ، وجمعها السرايا ، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس(١٩) .

٢. والسرية في الأصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود إليه فتخرج ليلاً أو نهاراً ، وهي من مائة إلي خمسمائة ، وقيل أربعمائة والسرية من خمسة أنفس إلي ثلاثمائة أو أربعمائة ، وعليه ما دون ذلك لا يقال له سرية([٢٠]) .

٣. السرية قطعة من الجيش ، تخرج منه تغيير وترجع إليه السرية لأنها تسري الليل ويخفي ذهابها([٢١]) .

---

١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن الفيومي ، (المكتبة العلمية : بيروت لبنان) د.ت ،ج١ص٢٧٥ .

[١٩]. النهاية ٣٦٣/٢، وجامع الأصول ٤٧٨/٩.

[٢٠]. السيرة النبوية ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي أبو الفرج نور الدين بن برهان الدين ، ط٢(دار الكتب العلمية :بيروت) ج٣ص٢١٣ .

[٢١]. الموسوعة الفكرية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة ، حسين عودة العوايشة ، ط١(المكتبة الإسلامية :عمان الأردن) ١٤٢٢ه ،ج٧ص٩٧ .

٤. السرية هي القطعة من الجيش الداخل لبلاد العدو تغير علي العدو ثم ترجع إلي الجيش([٢٢]) .

وقد تباينت أقوال العلماء في العدد الذي يمكن إطلاق مسمى السرية عليه ، فذكر ابن الأثير أن السرية يبلغ أقصاها أربعمائة ، وذكر الفيروز آبادي(٢٣) أن السرية مابين خمس أنفس إلى مائة ، وذكر الحافظ ابن حجر(٢٤) أنها من مائة إلى خمسمائة .

ولكن عند الرجوع لكتب السيرة نجد أكثر سرية كان عدد أفرادها كان ثلاثة آلاف رجل(٢٥) وهي سرية مؤتة(٢٦) ، والسرية يمكن أن تكون مابين خمسة إلى مائة أو من مائة إلى ثلاثمائة فربما وهو الغالب ، وإلا فقد أرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عبدالله بن أنيس سرية وحده إلى نبيح الهذلي بِعُرَنَة(٢٧) ، وأخرج البيهقي عن مجاهد قال: قد بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن مسعود وخباباً سرية ، وبعث دحية سرية وحده(٢٨) ، وبعث رسول الله (صلى الله

---

[٢٢]. كتاب الاعتصام ، إبراهيم موسي الغرماطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق الشقير والحميد والصيني ، ط١(دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، السعودية) ١٤٢٩ه ــ ٢٠٠٨م ، ج٢ص٨ .

[٢٣]. القاموس مادة (سرا) .

[٢٤]. الفتح (٥٦/٨) .

[٢٥]. انظر: سرية مبحث مؤتة في هذه الرسالة.

[٢٦]. غزوة مؤتة وذات السلاسل فإن كلا منهما في الحقيقة سرية ولكن أطلق عليها بعض المؤرخون اسم غزوة.

[٢٧]. انظر الطبقات الكبرى (٥٠/٢) .

[٢٨]. السنن الكبرى (١٠٠/٩) .

عليه وسلم) عمرو بن أميه الضمري وسلمة بن أسلم سرية وحدهما إلى أبي سفيان بن حرب بمكة(٢٩).

وهنالك من لم يفرق بين السرية والبعث ، بينما الحافظ ابن حجر ذكر تعريفاً محدداً بالنسبة للبعث فقال: (ما افترق من السرية يسمى بعثاً)(٣٠.)

وللفائدة المعركة هي مَوْضِع القِتَالِ ويطلق اسم المعركة على الموضع أو المكان التي يكون فيها التصادم بين فئتين أو أكثر ، وعادة ما يسمى التصادم باسم الموقع ، مثل (معركة بدر) ، حيث تصادم المسلمون مع المشركين بالقرب من آبار بدر.

وعلى هذا يمكن القول أن السرية هي التي لم يشارك فيها رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ، بل قادها أحد الصحابة ، وأن لا يتجاوز عددها أكثر من ثلاثة آلاف رجل ، كما في سرية مؤتة ، وليس في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) سرية بلغ عددها أكثر من ذلك ، كما أنه ليس في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) حد أدنى للسرية ، فقد تتكون السرية من رجل واحد فقط كما مر .

ومن المصطلحات المرادفة والتي يكثر استخدامها اليوم مصطلح الحرب: والتي تعني ، نزاع مسلح تبادلي بين دولتين أو أكثر من

---

٢٩. الطبقات الكبرى (٩٣/٢) .

٣٠. فتح الباري ٥٨/٨ . ولكن تعريف الحافظ هذا فيه نظر، لان معنى البعث الإرسال، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث من المدينة. فالبعث كلمة عامة تطلق على السرية التي خرجت من المدينة وعلى التي افترقت منها.

الكيانات غير المنسجمة ، حيث الهدف منها هو إعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول على نتائج مرجوة ومصممة بشكل ذاتي .

قال المنظر العسكري الروسي كارل فون كلاوزفيتز في كتابه عن الحرب أنها :(عمليات مستمرة من العلاقات السياسية ، ولكنها تقوم على وسائل مختلفة)([٣١]) وتعد الحرب هي عبارة عن تفاعل بين اثنين أو أكثر من القوى المتعارضة والتي لديها (صراع في الرغبات)([٣٢]) ويستخدم هذا المصطلح أيضا كرمز للصراع غير العسكري ، مثل الحرب الطبقية.

لا تعد الحرب بالضرورة أن تكون احتلالا أو قتلا أو إبادة جماعية بسبب طبيعة المعاملة بالمثل كنتيجة للعنف، أو الطبيعة المنظمة للوحدات المتورطة([٣٣]) .

---

٣١. كلاوسويتز ، كارل فون (عام ١٩٧٦) ، وفي الحرب (مطبعة جامعة برين ستون) 87 .

٣٢. كلاوزفيتز، كارل فون (١٩٧٦) 77 .

٣٣. كلاوزفيتز، كارل فون (١٩٧٦) ، وفي الحرب (مطبعة جامعة برين ستون) 77.(الحرب هي اصطدام اثنين من القوى الحية" ومجموع nonresstance لن تكون هناك حرب على الإطلاق) .

المبحث الثالث

تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح

أولا: في اللغة:

الدعوة : من الفعل دعا يدعو ، على وزن فعلة ، والدعوة المرة الواحدة الدعاء ، والدعاء وأحد الأدعية([٣٤]) ، وقد دعا فهو داع ، والجمع دعاة وداعون ، مثل قاض وقضاه وقاضون ([٣٥]) وجاء في معجم مقاييس اللغة : أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت ، وكلام يكون منك بقول دعوت ، أدعو ، دعاء والدعوة للطعام ، تكون بالفتح ، والدعوة إلى النسب ، تكون بالكسرة ومنه داعية اللبن ، وهو ما ترك في الضرع ليطلب ما بعده ، ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده ، فكان الأول يدعو إلى الثاني فيميله ، وهكذا([٣٦]). والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع . ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة(٣٧) .

---

[٣٤]. مختار الصحاح ،الإمام محمد ابن أبي بكر الرازي ،ترتيب محمد خاطر ،ص٢٠٦ يدون رقم طبعة ،(دار الحديث : القاهرة) بدون تاريخ.

[٣٥]. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن على الفيومي المقري، ص٧٤ بدون رقم طبعة (مكتبة لبنان)، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

[٣٦]. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ص٢٧٩،٢٨٠ بدون رقم طبعة (دار الفكر) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ١٤/ ٢٥٨–٢٥٩، ط١، دار صادر، بيروت

وقال الزبيدي: (الدّعاءُ) ، بالضّمِّ مَمدوداً ؛ (الرَّغبَةُ إلى اللّهِ تعالى) فيما عندَه من الخيرِ والابْتهال إليه بالسّؤَالِ ؛ ومنه قوْله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)(٣٨) ، (دعا) يَدْعو (دعاءً ودَعوَى) ؛ وأَلِفها للتَّأْنيثِ ، وقالَ ابنُ فارسَ : وبعضُ العرَبِ يُؤَنّثُ الدّعْوَة بالأَلفِ فيقولُ الدّعْوَى ، ومن دعائهم: اللهمَّ أَشْركْنا في دعْوَى المُسلمين ، أي في دُعائهم ، ومنه قولُه تعالى: (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(٣٩) ..(٤٠) .

فمفهوم الدعوة من خلال مدلولها اللغوي يشير إلى النداء والطلب للاجتماع على شيء أو الاشتراك فيه ، فدعا الرجل ناداه أو طلبه ، ويشير إلي الاستغاثة والتسمية وداعية اللبن وصهيل الفرس وصوت السلاح في المعركة وداعية الحيطان وهي صفة للنبي (صلي الله عليه وسلم) فهو داعية إلي الله ، والاصطلاح هو الذي يعين ويحدد المراد من النداء أو الطلب ويبين بيان المقصود .

ثانيا : في الاصطلاح :

يجد الباحث صعوبة في أن يضع تعريفا محددا للدعوة ، وذلك نسبة للاهتمام الكبير الذي وجدته كعلم في الوقت الحاضر ، ولا سيما

---

[٣٨]. سورة الأعراف، آية: (٥٥) .

[٣٩]. سورة يونس، آية: (١٠) .

[٤٠]. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسيني الزبيدي، ٣٨/ ٤٧.

وقد تعددت فيها الرسائل العلمية ، والبحوث الدعوية ، والتي كان همها توضيح الأهمية الكبيرة التي تحظى بها هذه الدعوة ، والمعنى العظيم لمدلول الكلمة.

وأري أن التعريف حتي يكون شاملاً ومواكباً لمتطلبات العصر يجب أن يكون علي النحو التالي:(**هي عبارة عن المجهودات العلمية والعملية ، التي يقوم بها الدعاة إلي الله تعالي ، لتبليغ الإسلام للإنسان مطلقاً عبر منهج صحيح ووسائل وأساليب مباحة ومتجددة ، وذلك لربط الأصل بالعصر)** .

حاجة الناس إلى الدعوة والدعاة

إن من رحمة الله تعالى بالبشرية أنه كلما انحرفت البشرية عن دينها يرسل الله إليهم نبياً يجدد لهم أمر دينهم ويردهم إلى الجادة القوية: قال تعالى: (ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون)(٤١).

وبعد طي سجل الرسل بمحمد وانقطاع الوحي من السماء جعل الله هذه المهمة إلى أتباعه عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن

[٤١]. سورة المؤمنون ، الآية (٤٤) .

يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(٤٢).

وعلى هذا فإن هذه الأمة مسئولة عن هداية البشر هداية إعلام وإرشاد وإظهار للحجة ، ومستشهدة وموقوفة لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية .

إنه لمن المفيد النافع في هذا العصر الذي فترت فيه الهمم ومحقت فيه العزائم وأصيبت قلوب كثيرة باليأس أن ينطلق الداعية في دعوته من شعوره بمسؤولية الدعوة وأمانتها التي جعلها الله في عنقه لا من منطلق كسب الأتباع والحصول على النتائج ، بل عليه أن يفكر في مسؤولية الدعوة أولا قبل أن يفكر في قبول المدعو لدعوته .

إن كثيراً ممن يبدؤون الطريق بالتفكير في النتائج قبل التفكير بالمسؤولية والملقاة على عواتقهم ينتهون نهاية خاطئة ، فإن الناس إذا بدئوا بالتفكير في النتائج فلم يحصل لهم يقين بالنتيجة ولم يروا شيئاً واضحاً في الأفق يغريهم بالتقدم أحجموا عن السير في الطريق وعفوا أنفسهم من القيام بالدعوة ، ظناً أن معهم المبررات التي تسمح لهم القعود.

إن أمر القيام بالدعوة ليس كأمر القيام بالمشاريع والصفقات الدنيوية التي إن لم يظهر نجاحها تركها الإنسان دون حرج ، وإنما القيام

---

[٤٢]. سورة البقرة ،الآية (١٤٣) .

بالدعوة مسؤولية لا يملك المسلم التنصل منها ، شأنه في ذلك شأن أنبياء الله الذين كلفوا بحمل الرسالة ، فإن منهم من يأتي يوم القيامة ومعه الرجلان ومنهم من يأتي ومعه الرجل الواحد ، ومنهم من يأتي وليس معه أحد ، ولو أن الله تعالى أراد من الأنبياء والدعاة القيام بالدعوة لمجرد الحصول على النتيجة ما بعث مثل هؤلاء الأنبياء ولا كلفهم كل هذا العناء إذا كانوا سيأتون وليس معهم أحد وهو عليم بذلك جل وعلا ، ولكنه جل وعلا أراد منهم القيام بمسؤوليتهم ، وحسابهم إنما هو على إبلاغهم الدين لهذه البشرية وإقامتهم الحجة عليها ، حتى لا يكون للضال حجة على الله ، وليظهر عدله تعالى وإعذاراً للخلق ، وهذا كاف لقيام الرسل وأتباعهم بمهمة الرسالة ، قال تعالى: (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(٤٣) .

إن الواجب على الدعاة أن ينطلقوا اليوم في دعوتهم بهذا المفهوم ، لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة ، فإن الله يحب ذلك ويريده ، والمحب الصادق يسعى في تحقيق مراد محبوبه ، وسواء استجاب الناس وتغير المجتمع أم لم تحدث استجابة ، فإن مراد الله من عمل المرسلين والدعاة يتحقق بقطع حجة الخلق على الله حتى لا يكون لهم عذر في ضلالهم ، وإن هذا ليفتح باباً واسعاً أمام الداعية فلا يقلق ، وينطلق من خلاله في دعوته دون أن يصبه اليأس أو الوهن مهما

---

[٤٣]. سورة النساء ،الآية (١٦٥) .

ضعفت النتائج أو انعدمت ، نحسبه أن يسعى في تحقيق مراد الله من الإعذار إلى الخلق حتى لا يكون لهم حجة حين يحاسبهم .

فلو لم يكن إلا هذا الباب الذي يلج من خلاله الداعية ليقوم بدعوته لكفى ، فكيف وهناك أبواب كثيرة جداً في الدعوة !.

وإن القيام بالدعوة تطهر الداعي نفسه وتزكيه ، وتجعل له قيمة ولحياته معنى هو المنتفع قبل غيره بقيامه بدعوته ورسالته .

إن في القرآن من النصوص ما يلقي ضوءاً ساطعاً على نوعية ومسؤولية الداعي ويحدد موقفه تحديداً واضحاً كما في قول المولى جل وعلا:(وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(٤٤) .

فضل الدعوة إلى الله وأهميتها

لا يخفى على أي مسلم أهمية الدعوة إلى الله تعالى فهي الطريق إلى صلاح البلاد والعباد ، وهي وظيفة صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أهميتها وبينت جزيل ثواب من قام بها ، فمما ورد في الكتاب العزيز قوله تعالى: (وَادْعُ إِلى رَبِّكَ)(٤٥) ، وقوله عز وجل: (ادْعُ إِلى سَبِيل رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

---

٤٤. سورة الأعراف ، الآية (١٦٤) .

٤٥. سورة الحج ، الآية (٦٧) .

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَل عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ)(٤٦) ، وقوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يدعون إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(٤٧) .

قال ابن القيم رحمه الله: (والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله "صلى الله عليه وسلم" ، لا الداعون إلى رأي فلان وفلان)(٤٨) ، وقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٤٩) .

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى لرسوله "صلى الله عليه وسلم" إلى الثقلين الجن والإنس آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على بصيرة ويقين وبرهان عقلي شرعي)(٥٠) .

وقال عبدالعزيز بن باز : (فبين سبحانه أن الرسول يدعو على بصيرة وأن أتباعه كذلك ، فهذا فيه فضل الدعوة ، وأتباع الرسول هم

---

٤٦. سورة النحل ،الآية (١٢٥) .

٤٧. سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

٤٨. انظر بدائع التفسير ، (دار ابن الجوزي : الرياض) ج١ص٥٠٨ .

٤٩. سورة يوسف ،الآية (١٠٨).

٥٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص٥١٣ ج٢.

الدعاة إلى سبيله على بصيرة)(٥١) . وقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(٥٢).

قال الحسن البصري: (هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله)(٥٣).

وقال الشيخ ابن باز:(والمعنى لا أحد أحسن قولاً منه لكونه دعا إلى الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه ، يعني دعا إلى الحق وعمل به، وأنكر الباطل وحذر منه وتركه ، ومع ذلك يصرح بما هو عليه لم يخجل به ، بل قال: (إنني من المسلمين) ...) ثم قال : وهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة ، وأنها من أهم القربات وأفضل الطاعات)(٥٤) .

ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن قوله (صلى الله عليه وسلم) :(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)([٥٥]) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)([٥٦]) ، وقوله

---

٥١. فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها لابن باز (ص١٩).

٥٢. سورة فصلت ،الآية (٣٣) .

٥٣. انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٥ص٣٦٠،(دار إحياء التراث العربي : بيروت)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٠٩.

٥٤. فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها لابن باز (ص١٩–٢٠) .

٥٥. رواه مسلم من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه .

٥٦. رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(صلى الله عليه وسلم) يوم خيبر لعلي (رضي الله عنه): (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)([٥٧]) .

فالدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعاً ، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس كافة ، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم ، ونفيها عمن سواه وهو معنى ومقصد لا إله إلا الله .

٥٧. متفق عليه من حديث أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

الفصل الثاني

أثر الغزوات في الدعوة

من الهجرة إلى صلح الحديبية

المبحث الأول :غزواته من السنة الأولى إلى الثانية من الهجرة

المبحث الثاني :غزواته من السنة الثالثة إلى الرابعة من الهجرة

المبحث الثالث: غزواته من السنة الخامسة إلى السابعة من الهجرة

المبحث الأول

غزواته من السنة الأولى إلى الثانية من الهجرة

خاض النبي (صلى الله عليه وسلم) في تلك الفترة ثماني غزوات هي:

أولاً : غزوات ودان (الأبواء)

هي أول غزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)([٥٨]) ، وكانت في صفر من السنة الثانية من الهجرة ، وسببها أنه (صلى الله عليه وسلم) بلغه مرور عير لقريش بالأبواء ، ووجود بني ضمرة بن بكر في المنطقة ، فخرج (صلى الله عليه وسلم) في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة ، بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة (رضي الله عنه) ، ولما وصل إلى ديار بني ضمرة وادعته هذه القبيلة بواسطة سيدهم ، وفاتت عير قريش ، فعاد . (صلى الله عليه وسلم) ولم يلق كيداً ، غير أنه أقام بالأبواء بقية صفر ، وعاد في ربيع الأول ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، وكان لواؤه (صلى الله عليه وسلم) في هذه الغزوة أبيض ، يحمله عمه حمزه بن عبد المطلب (رضي الله عنه)([٥٩]) .

---

[٥٨]. السيرة النبوية لابن هشام ، ج٣ ـ ص ٥٩١.

[٥٩]. انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٤٣ ، (دار الفكر : بيروت) ١٩٧٨م. والرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ، ص ١٩٨.

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. تحول الدعوة من الضعف إلى القوة ، وذلك بالضغط على قريش التي أذلت المسلمين ، وأخرجتهم من أحب البقاع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك بتهديد تجارتها التي تعتبر المصدر الأساس لأهلها ، وقد ترك المهاجرون أموالهم وممتلكاتهم في مكة ، وخرجوا بدينهم ، فاستولت عليها قريش .

٢. القائد القدوة يتقدم الناس هو وأقرباؤه ، وفي خروجه إشارة واضحة على طول المشوار في سبيل إزالة الطواغيت الذين يقفون عقبة في وجه نشر الإسلام ، حتى لو كلفه الأمر حياته (صلى الله عليه وسلم) ، ويزيد من أهمية هذه الدعوة ويظهر تواضعه الزائد ، مما يكسب الدعوة قوة ومنعة .

٣. إرهاب اليهود المقيمين في المدينة وعلى مقربة منها .

٤. نلاحظ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أختار أسعد بن عبادة (رضي الله عنه) أميراً على المدينة أثناء غيابه ، ليؤم بالمسلمين في الصلاة ، ويفصل في الأمور التي قد تحدث في غيابه (صلى الله عليه وسلم) .وقد جاءت النصوص الكثيرة بوجوب تنصيب الأمير على أي جماعة مسلمة مهما صغرت ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :(إذا كنتم ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)([٦٠]) .

---

[٦٠]. سنن أبي داؤود ج٢ص٣٤ ، صنفه وجمعه الإمام الحافظ أبو داؤود سليمان الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستان ،ط١(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي :القاهرة) ١٣٧٢-١٩٥٢م .

٥. موادعته لقبيلة بني ضمرة يعد مكسباً كبيراً للدعوة إلى الله ، حيث يقلل عدد الأعداء ، ويزيد صفوف الأصدقاء .

ثانياً : غزوة بواط ([٦١])

غزا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شهر بيع الأول ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

قال أبن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع المدينة ، ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادي الأولى([٦٢]).

وكان اللواء مع سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. بيان ما أضطلع به النبي (صلى الله عليه وسلم) من أعباء الجهاد والدعوة ، إذ ما فرغ من غزوة حتى تهيأ لأخرى وأعد لها ، وهذا دليل على أن أصحاب الدعوات لا يستكينون للراحة والدعة .

٢. مواصلة القتال والخروج مؤشر يعكس قوة الدعوة الإسلامية التي سوف تفرض نفسها في كل البقاع ، وإزالة كل العقبات التي تقف في وجهها مهما كان حجمها .

---

[٦١]. بواط : جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع ، على أربعة برد من المدينة ، ابن هشام ج ٣ ، ص ٥٩٨.

[٦٢] أنظر البداية والنهاية ـ للحافظ بن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٤٦، ـ وسيرة بن هشام ـ ج ٢ ، ص ٥٩٨.

٣. إصراره (صلى الله عليه وسلم) على محاربة قريش اقتصادياً يعكس كل ما عانته هذه الدعوة من قبل هذه القبيلة .

٤. في خروجه (صلى الله عليه وسلم) إرهاب للعدو ، وإبراز للقوة واستعراض العدة والعتاد ، وبه يتحقق هدف مهم من أهداف الجهاد ، وهو تحريض المؤمنين ، وجعلهم في حالة استنفار دائم ، يتوقعون في أي وقت أن يصدر من قائدهم ، ويكونوا على أهبة الاستعداد ، وكذلك يكون الخروج إلى ديار العدو ، لمعرفة خطة تقدمه ، على ثغرات المسلمين ، ويكون المسلمون بذلك ، قد أحدثوا نوعاً من الاستكشاف والاستطلاع لمعرفة أوضاع الحرب .

٥. هذه الغزوة أعلمت قريشاً أن الإسلام صارت له قوة ، فإما أن يسارعوا إليه ، ولا يكونوا آخر الناس ، وأما أن يسارع القصاص ، والرد على ما سبقوا به من الاعتداء .

٦. الإشعار بأن الإسلام قد أمده الله تعالى بالقوة ، ليرهبوه ما داموا لم يسالموه ، بل أنهم لم يرغبوه .

٧. الإحساس بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) سيضايقهم بالحق ، كما ضايقوه بباطلهم ، وكما يضايقون أصحابه من المستضعفين في ديارهم ، وذلك بمصادرة أموالهم كفاء لما أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم .

٨. الإحساس بأن قوة الإسلام ستنقذ المؤمنين الذين لا يزالون يفتنونهم عن دينهم الذي ارتضوه ، والفتنة أشد من القتل .

٩. في بقائه في الموقع الذي خرج إليه لمدة من الزمن يعكس لك قوة رجال هذه الدعوة الذين لا يهابون الموت في سبيل نشرها .

ثالثاً : غزوة العشيرة([٦٣])

في جمادي الأولى ، وجمادي الآخرة للسنة الثانية ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خمسين ومائة ويقال : في مائتين من المهاجرين ، لم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يتعقبونها ، يعترضون عيراً لقريش ، ذاهبة إلى الشام ، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة فيها أموال لقريش ، فبلغ ذا العشيرة ، فوجد العير قد فاتته بأيام ، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجع من الشام فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى([٦٤]) .

أقام فيها جمادي الأولى وليالي من جمادي الآخرة ، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً([٦٥]).

قال بن هشام : فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد([٦٦]) .

---

[٦٣]. موضع بناحية ينبع .

[٦٤]. الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، ص ١٩٩.

[٦٥]. السيرة النبوية ، لأبن هشام ، ج ٢ص ٥٩٩.

[٦٦]. المصدر السابق ، ج ٢ص ٥٩٨ .

وكان اللواء الأبيض ، حامله عمه حمزه بن عبد المطلب (رضي الله عنه) .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. مواصلة النبي (صلى الله عليه وسلم) الجهاد ، إذ ما فرغ من غزوة حتى تهيأ لأخرى ، وأعد لها .

٢. عدم إكراه أحد على الخروج يؤكد بأن جهاد الطلب يكون فيه الجهاد فرض كفاية.

٣. موادعته لبني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، يعتبر مكسباً كبيراً للدعوة تنطلق عبرها .

٤. ما خرج إلا وخلف من يقوم بمهام الدعوة داخل المدينة .

٥. إظهار قوة هذه الدعوة وذلك بمتابعة أخبار العدو ، مما يعتبر إرهاباً للأعداء بالداخل والخارج .

رابعـاً : غــزوة بـدر الأولـــي

قال ابن إسحاق : لم يقم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة حين فرغ من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وادياً ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، وهي غزوة بدر الأولى ، ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، فأقام بها بقية جمادي الآخرة ورجباً وشعبان([٦٧]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. في خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) المتواصل إذ لم يفرغ من غزوة حتى استعد للأخرى ، يوضح أن الصراع بين الحق والباطل لم يتوقف مهما تغير الزمان والمكان ، فعلى أصحاب الدعوة الاستعداد المتواصل لهذا الصراع الذي لا ينقطع.

٢. عكست هذه الغزوة أن الدعوة الإسلامية قوية لكل من يحب أن ينال من هيبتها وكرامتها .

٣. استخلافه زيداً على المدينة ، بمثابة ثورة على الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة عند العرب ، فالإسلام لا يفرق بين الناس إلا بالتقوى ، قال تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..)([٦٨]) .

٤. بقاؤه هذه المدة يعكس القوة التي أصبحت تتمتع بها هذه الدعوة ، وله مؤثرات دعوية .

---

[٦٧]. السيرة النبوية لأبن هشام .

[٦٨]. سورة الحجرات : الآية (١٣) .

خامســاً : غــزوة بدر الكــبرى

وقعت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وكان خروجه في ٨ أو ١٢ من نفس الشهر([٦٩]).

وسببها أن المسلمين ظلموا ، وأخرجوا من ديارهم ، وصودرت أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، كما أن قريشاً بعد هجرة المسلمين من مكة لاحقتهم بالأذى في مهجرهم بالمدينة ، حتى أن المسلمين لا ينامون إلا والسلاح معهم ، فإذا سمعوا حركة فزعوا إلى سلاحهم ، يظنون أنه العدو باغتهم ، فكان لابد من تأديب قريش وقطع طرق تجارتها ، من أجل ذلك عندما علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نبأ عير قريش قادمة من الشام تحمل تجارة عظيمة يقودها ابوسفيان ، وهي في طريقها إلى مكة ، أراد أن يعترض هذه العير ، فيفجع بذلك قريشاً في أموالها ، كما فجعت المسلمين في أموالهم وأنفسهم من قبل ، وأستنفر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصحابه للاستيلاء عليها ، وأسرعوا في الخروج حتى لا تفلت القافلة ، فخرجوا وليس عليهم كبير سلاح ، وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً ، وكانت إبلهم سبعين ، يتعاقب على الواحدة منها أثنان أو ثلاثة من الصحابة ، ولكن أبا سفيان قد علم بخروج المسلمين للاستيلاء على القافلة ، فاستأجر رجلاً وبعثه إلى مكة ، ليخبر القوم بما حصل ، ووصل الرجل ، وصرخ ،

---

[٦٩]. الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباكرفوري، ص ٢١٢ .

وهو واقف على بعيره ، بعد أن شق قميصه ، وأخذ يصيح اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان تعرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث يا أهل مكة ، مما جعل قلوبهم تمتلئ غيظاً وغضباً ، وهبوا لنجدة القافلة .

أما أبو سفيان فكان رجلاً داهية وخبيراً بمسالك الطرق ، أفينتظر حتى تأتيه نجدة قريش أم يتصرف بطريقته الخاصة فينقذ التجارة من المسلمين ؟ وقد كان ، حيث حول طريقه فانحاز عن بدر ، ومال ذات اليمين ، وسلك طريق الساحل ونجا بقافلته ، وجاء الخبر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنجاة القافلة واتجاهها إلى مكة ، فأصبح الموقف حرجاً بالنسبة للمسلمين ، بالتالي أصبح موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) دقيقاً للغاية ، فهو لم يخرج للقتال ، ولم يخبر أصحابه بذلك حتى يأخذوا اهبتهم لملاقاة عدوهم ، وماذا يفعل وقد خرجت قريش للحرب ، ورمتهم مكة بأفلاذ أكبادها؟([٧٠]).

ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أتاه خبر سير قريش إلى المسلمين ، فاستشار من معه من أصحابه ، فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً ، وكان منهم المقداد بن عمرو ، فقال : (يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك).

ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ظل ينظر إلى القوم ، ويقول لهم (أشيروا علي أيها الناس) ، فقال له سعد بن معاذ : (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله) ، قال : (أجل) ، فقال سعد : (لقد آمنا بك

---

[٧٠]. سيرة ابن هاشم ج ٢ ص ٦١٠.

وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضنا معك).

فسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقول سعد ، ثم قال : (سيروا وابشروا ، إن الله قد وعدني أحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)([٧١]) ، ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريق العيون التي بثها ، حتى علم المسلمون انهم ما بين التسعمائة والألف ، وأن فيهم عامة زعماء قريش .

وقد أرسل أبو سفيان إلى قريش أن يرجعوا إلى مكة ، إذ إنه قد أحرز العير ، ولما تلقوا هذه الرسالة هموا بالرجوع ، ولكن قام طاغية قريش أبو جهل في كبرياء قائلاً : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم بها ثلاثاً ، فننحر الجذر ، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر ، وتعزف لنا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا.

وسار المسلمون وعسكروا على أول بئر من آبار بدر ، ولكن الحباب بن المنذر كان صاحب حنكة ودراية ، فقال: (يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً انزله الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة ، فقال: فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا ، فنملؤه

[٧١]. فقه السيرة النبوية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص٢٣٣ .

ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فنهض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتحول إلى المكان والرأي الذين أشار بهما الحباب (رضي الله عنه) ([٧٢]) .

وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطراً ، كان على المشركين وبالاً شديداً ، منعهم من التقدم ، بينما كان على المسلمين رحمةً ، حيث كان سبباً في تصلب الرمال وتثبيت الأقدام ، وربط قلوبهم ، قال الله تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ)([٧٣]) .

واقترح سعد بن معاذ (رضى الله عنه) أن يبني عريشاً للنبي (صلى الله عليه وسلم) يكون بمأمن فيه ، رجاء إن يعود سالما إلى من تخلف من المسلمين في المدينة ، وأن لا ينكبوا بفقده ، فوافق عليه الصلاة والسلام على ذلك ، وتم انتخاب فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ ، يحرسون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حول مقر قيادته .

وسار النبي (صلى الله عليه وسلم) على أرض المعركة ، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان إن شاء الله ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته (صلى الله عليه و سلم) .

وراح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجأر إلى الله تعالى بالدعاء ، لية الجمعة ، ويقول :(اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك ، وتكذب رسولك ، الله فنصرك الذى وعدتني ، الله أحنهم الغداة)

---

[٧٢]. ابن هاشم ،ج٢ ص٦١١ .

[٧٣]. سورة الانفال : الآية(١١) .

... وظل يناشد الله ، متضرعاً وخاشعاً ، وهو يبسط كفيه للسماء ، حتى أشفق عليه أبوبكر الصديق (رضى الله عنه) ، فالتزمه من ورائه ، وقال له : (يا رسول الله أبشر ، فو الذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك) ، وأقبل المسلمون أيضاً يستنصرون الله ويستغيثونه ومخلصون له الضراعة([٧٤]) .

ولقد أثبت للقيادة الإسلامية مهارة فائقة في رفع الروح المعنوية للمقاتلين ، حيث وعدتهم بالنصر وبشرتهم بالجنة ، وأخبرتهم بشهود الملائكة الذي يؤازرونهم في المعركة لهزيمة أعدائهم .

وفي صبحية يوم الجمعة ألتقى الجمعان ، وبدأت المعركة ، واشتدت رحى المعركة ، وأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً، وقال : (شاهت الوجوه) ، ثم نفحهم بها ، فلم يبق فيهم رجل الا امتلأت عيناه منها ، وأيد الله المسلمين بالملائكة ، يقاتلون إلى جانبهم ، ثم اشتد القتال ، فلم تمض الا ساعة حتى هزم المشركون ، وولوا الأدبار ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتلوا منهم سبعين رجلا ، وأسروا سبعين ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا([٧٥]) .

لما خمدت نار المعركة ، ودفن المسلمون شهداءهم ، وكانوا أربعة عشر شهيداً سحبت جيف المشركين إلى قليب[٧٦] كان في ساحة المعركة ، فألقوا فيه .

---

[٧٤]. السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٢ ص٦١٣ .

[٧٥]. فقه السيرة ، للبوطي ، ص٢٣٥ – ٢٣٦ .

[٧٦]. البئر لا ماء فيه .

واستشار النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه في أمر الاسرى ، فأشار عليه أبوبكر الصديق (رضى الله عنه) أن يأخذ منهم فدية من المال ، تكون قوة للمسلمين ، ويتركهم ، عسى الله أن يهديهم ، واشار عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بقتلهم ، لأنهم أئمة الكفر وصناديده ، ولكن النبي (صلى الله عليه وسلم) مال إلى ما رآه أبوبكر ، من الرحمة بهم ، وافتدائهم بالمال ، وحكم فيهم بذلك ، غير أن آيات من القرآن نزلت عتاباً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ، وتأييداً للرأي الذي رآه عمر من قتلهم ، وهي من قوله تعالى :(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([٧٧]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. لقد أعز الله سبحانه وتعالى بهذا النصر الإسلام وأهله ، ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه ، وأعز الله رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) وقبيله ، وأخزي الشيطان وجيله.

٢. بهذا النصر يعرف المسلم الحق بأن النصر من عند الله ، وليس بالكثرة ولا بالقلة ، حيث كان الفرق عظيماً بين الجيشين ، من حيث

[٧٧]. سورة الأنفال : الآيات (٦٧ – ٦٩) .

الغاية والقيادة والجند ، فقد كانت غاية المسلمين أن ينتصروا لله وللحق ، بينما كانت غاية المشركين أن يستعرضوا قوتهم حتى يرهبوا العرب جميعا ، وكانت قيادة المسلمين للنبي الرحيم الرشيد ، يستشيرهم وينزل على رأيهم ، وهو المؤيد بالوحي ، أما قيادة المشركين فكانت لأبي جهل المتكبر المغرور ، وكان جند المسلمين جند الله ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، اما جند المشركين فأهل خمر وفسق وعصيان وكفر وطغيان .

٣. وبه قد اعتز المسلمين بدينهم وعقيدتهم ومبادئهم ، مما جعلهم يقفون وجها لوجه أمام آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم ، يقاتلون في سبيل نصرة الحق ، وإعلاء كلمة الله الواحد الديان .

٤. أدت إلى تملك المسلمين جرأة الإقدام الجهادي ، وشجاعة المواجهة القتالية ، وشعورهم بالقوة والاقتدار على مواجهة العدو المتربص بهم، بل والتعبؤ لتحرير مدينتهم وديارهم المكية التي أخرجوا منها ظلماً وعدواناً ، بعد إن تعرضوا من قبل مشركي قريش إلى شتى أنواع التعذيب والاضطهاد والحرمان والحصار ، ورفع موانع الطاغوت عن طريق إعلان عقيدتهم الإلهية ، وتبلغ دين الله والدعوة إليه بين النساء بالدليل والحجة البالغة التي منعوا منها ، وحرموا من أبسط أنواع حرية الفكرة والبيان .

٥. وبهذا النصر أقبل كثير من المترددتين والخائفين على الدخول في دين الله ، وارتفعت معنويات المسلمين وازدادوا يقينا في نصر الله ،

فأصبحوا لا يخافون إلا الله ، لا يبالون بقوة أعدائهم ، وتمسكوا بقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)([٧٨]).

٦. وبهذا النصر ازدادوا إيماناً ، بأن للنصر أسباباً ، منها التجرد الكامل لله تعالى ، قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)([٧٩]) والثبات عند لقاء العدو ، قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)([٨٠]).

٧. ولقد بدأت القبائل المحيطة بالمدينة تشعر بقوة المسلمين ، وشوكتهم ، واقتدارهم على مواجهة مشركي قريش الذين مثلوا القوة المستكبرة ، مما دفع هذه القبائل إلى عقد تحالفات أو معاهدات مع المسلمين على النصرة ضد العدو ، وكان لهذه التحالفات والمعاهدات أثر كبير ، وهذا الأثر كان في حد ذاته نصر وقوة اضافية للمسلمين لاسترداد حقوقهم ، ودفع الظلم والعدوان عن أنفسهم من جهة ، وتضعيفاً ، وتوهيناً لقوة قريش من جهة أخرى .

٨. إن هذه الغزوة أربكت قريشاً وحلفاءها ، وكسرت شوكتهم ، وأضعفت قدرتهم المتطاولة على قبائل الجزيرة العربية ، وأضعفت قوتهم الاقتصادية ، مما أضعف الثقة بهم وبقدرتهم على امتلاك زمام المبادرة

---

[٧٨]. سورة محمد: الآية (٧) .

[٧٩]. سورة البينة : الآية (٥) .

[٨٠]. سورة الانفال : الآية (٤٥) .

، مما دفع هذه القبائل فيما بعد للضغط عليها ، للدخول في مفاوضات مع المسلمين.

٩. تعززت مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، وارتفع نجم الإسلام فيها ، ولم يعد المشككون بالدعوة والمشركون في المدينة يجترئون على إظهار كفرهم وعدواتهم للإسلام .

١٠. تحقق للرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وعد الله تعالى بالنصر الكبير ، وهو أول نصر للإسلام على الكفر ، وقتل زهرة المجتمع المكي الوثني ، وأسر بعضهم ، وفر الباقون بالهزيمة ، وقد كانت هزيمة منكرة سجلها التاريخ كمعركة فاصلة بين الحق والباطل ، وأظهر الله دينه.

١١. بهذا النصر ارتفعت معنويات المسلمين المستضعفين في مكة ، فاغتبطت نفوس بنصر الله ، واطمأنت قلوبهم إلى أن يوم الفرج قريب فازدادوا إيماناً على إيمانهم، وثباتاً على عقيدتهم .

١٢. أصبح المسلمون قوة يحسب لها حساب في بلاد العرب ، مما هدد زعامة قريش على كافة القبائل العربية .

١٣. هذا الانتصار أحزن اليهود الذين هم أشد بغضاً ، وحسداً للمسلمين ، مما جعلهم يسعون للقضاء على هذه الدعوة بكل الوسائل ، وتبين للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن اليهود أكبر خطر على المسلمين .

١٤. تبين بهذا أن النصر لا يكون بالقوة العسكرية ، والحسابات المادية ، فكل هذه الحسابات كانت في صالح قريش ، فالعقيدة هي السبب الأساس في النصر.

١٥. التأييدات الربانية للنبي (صلى الله عليه وسلم) التي تمثلت في نزول الملائكة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحبه تأييداً ومدداً([٨١]).

سادسا: غزوة بني سليم بالكدر

أول ما نقلت استخبارات المدينة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد بدر أن بني سليم ، من قبائل غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة ، فباغتهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في مائتي راكب هذه القبائل المحتشدة ، في عقر دارها ، وبلغ في منازلهم ، فو موضع يقال له الكدر([٨٢]) . ففر بنو سليم ، وتركوا في الوادي خمسمائة بعير ، استولى عليها جيش المدينة ، وقسمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد

---

[٨١]. قال الإمام القرطبي : (قال بعضهم آن الملائكة كانوا يقاتلون وكان علامة ضربه في الكفار ظاهرة لان كل موضع اصابت ضربتهم اشتعلت النار في ذلك الموضع وإنما كانت الفائدة فيكثره الملائكة لتسكين قلوب لا مؤمنين ولان الله تعالى جل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيام فكل عسكر صبر واحتسب تأتيهم الملائكة ويقاتلون معهم وقال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون إنما يكونون عددا أو مددا وقال بعضهم أما كانت الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويسبحون ويكرون الذي يقاتلون يومئذ فعلى هذا لم تقاتل الملائكة يوم بدر وإنما حضورا للدعاء بالتثبيت والأول أكثر) الجامع لإحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٩٤ .

[٨٢]. ماء من مياه بني سليم يقع في نجد.

إخراج الخمس ، فأصاب كل رجل بعيرين ، وأصاب النبي (صلى الله عليه وسلم) غلاماً يقال له (يسار) فأعتقه([٨٣]) .

فأقام النبي (صلى الله عليه وسلم) في ديارهم ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ، التي أستعمل عليها سباع بن عرفطة الغفاري ، أو ابن أم مكتوم([٨٤]) .

وكانت هذه الغزوة في شوال من السنة الثانية للهجرة ، بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام([٨٥]) .

أثر العزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. أهمية جهاد الطلب الذي يعكس قوة المسلمين ، والذي يمثل ضربة وقائية لكل من يخطط للنيل من هذه الدعوة ، مهما كانت قوته ، وتقرير مبدأ محاربة من يحارب ، ومسالمة من يسالم .

٢. قويت شوكة المسلمين ، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها .

٣. أصبح للدولة الجديدة مصدر للدخل من غنائم الجهاد ، وبذلك انتعشت حال المسلمين المادية والاقتصادية .

٤. أهمية الاستخلاف عند غيبة الحاكم للدولة الإسلامية .

---

[٨٣]. الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ،ص ٢٣٤.

[٨٤]. انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣ ص٤٣ –٤٤ . وزاد المعاد ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن القيم ج٢ ص ٩ ط١ (المطبعة المصرية) ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨م.

[٨٥]. انظر زاد المعاد ، لابن القيم ، ج ٢ ص٩٠.

ســـابعا: غـــزوة بين قـــينقـاع

قال ابن إسحاق : (كان من أمر بني قينقاع إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " جمعهم يسوق قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وسالموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تحدون ذلك في كتابكم ، وفي عهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد إنك ترى أنا كقومك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت فرصة ، أما والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس)([٨٦]) .

وروى ابن هشام أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلي صائغ بها ، فجعلوا يريدونها علي كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلي طرف ثوبها ، فعقده إلي ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين علي الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود علي المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين علي يهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع([٨٧]) .

كان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكان ذلك في يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة(٨٨) .

---

[٨٦]. سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص٤٧ .

[٨٧]. السيرة النبوية. لابن هشام ، ج٣–ص٤٨.

[٨٨]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ،ص٢٣٩.

فحاصرهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مدة من الزمن ، حتى نزلوا علي حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي سلول فقال: (يا محمد أحسن في موالي ، فلم يلتفت إليه رسول الله "صلي الله عليه وسلم" ، وكرر ثانية ، فأعرض عنه رسول رسول الله "صلي الله عليه وسلم" ، فأدخل يده في جيب درعه صلي الله عليه وسلم فقال له : أرسلني ، وغضب رسول الله "صلي الله عليه وسلم" حتى رأوا لوجهه ظللاً ، ثم قال له : ويحك أرسلني ، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة؟ ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال له رسول الله رسول الله "صلي الله عليه وسلم" : هم لك ، وأمرهم أن يخرجوا من المدنية ، ولا يجاوروه بها ، فخرجوا إلي أذرعات الشام ، وهلك أكثرهم فيها ([٨٩]).

وكان لعبادة بن الصامت من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، وتبرأ إلي الله (عز وجل) ، وإلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من حلفهم ، وقال: يا رسول الله أتولي الله ورسوله (صلي الله عليه وسلم) والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفاء وولايتهم([٩٠]) .

ففيهما نزل قوله تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ

[٨٩]. فقه السيرة النبوية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص٢٤٩ .

[٩٠]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج٢ص٤٩.

اللّـهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِـي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَـى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَـى اللّـهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَـى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ)(٩١) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي:

١. هذه الواقعة تدل في جملتها ، علي مدى ما ركب في اليهود من طبيعة الغدر والخيانة ، فلا تروق لهم الحياة مع من يجاورونهم أو يخالطونهم ، إلا أن يبيتوا لهم شراً ، أو يحيكوا لهم غدراً ، وهم علي أتم الاستعداد ، لأن يخلقوا جميع الوسائل والأسباب لذلك(٩٢) .

٢. قد تعقب المسلمون كل غادر بعهده ، مجاهر بحرب الله ورسوله ، مؤيد لقريش ورأيها ، مظهر للعطف والأسف علي ما أصابها ، تعقب المسلمون هؤلاء الطغاة ، من زعماء اليهود وسراتهم بالقتل والإرهاب(٩٣).

٣. ينقض الصلح بين المسلمين ومن صالحهم إذا كشفوا عورة مسلمة(٩٤).

٤. أن الذي ألهب مشاعرهم ، وأثار الحقد الدفين في نفوسهم إنما هو ما وجدوه من انتصار المسلمين في بدر ، وهو أمر لم يكونوا يتوقعونه

---

[٩١]. سورة المائدة : الآيتان(٥١-٥٢).

[٩٢]. فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص٢٤٩.

[٩٣]. فقه السيرة، محمد الغزالي ، ص٢٤٣ .

[٩٤]. سراج السالك شرح أسهل المسالك، عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي، ج٢ ، ص٣٠ ط (دار الفكر: بيروت) سنة ١٤٠٢هـ .

بحال ، فضاقت صدورهم بما حوته من الغيظ والأحقاد ولم يجدوا إلا أن ينفسوا عنها بمثل هذا الذي أقدموا عليه ([٩٥]) .

٥. أنه لا يجوز لأي مسلم أن يتخذ غير المسلم ولياً له.

٦. المعاملة الكريمة من قبل النبي (صلي الله عليه وسلم) مع عبد الله بن أبي الذي يعلم نفاقه ، وهذا دليل علي أن المنافق يعامل في الدنيا من قبل المسلمين علي أنه مسلم ، وأن يكون المسلمون في حذر دائم منهم .

٧. في خروجهم من المدينة حماية للدعوة الإسلامية من الداخل ، وتمهيداً لإخلاء باقي اليهود من الجزيرة العربية.

٨. المؤمن الفاضل هو الذي يغضب لله ، كما فعل المؤمن الذي قتل اليهودي الساخر من المؤمنة ومن تعاليم الإسلام السمحة .

ثامناً: غزوة السويق

قال ابن إسحاق: ثم غزا أبو سفيان بن حرب ، غزوة السويق ، في ذي الحجة ، وكان نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش ، ليبر يمينه ، حتى نزل بصدر قناة إلي جبل يقال له ثيب ، من المدينة علي بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتي بني النضير ، تحت الليل ، فأتي حيي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له ، وخاف ، فانصرف عنه إلي سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب

[٩٥]. فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص٢٥٢ .

كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه ، وسقاه وأعلمه بخبر الناس ، ثم خرج في ليلته حتى أتي أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلي المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها العريض ، فحرقوا في أسوار من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس. فخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في طلبهم ، واستعمل علي المدينة بشير بن عبد المنذر ، وهو أبولبابة ، حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم أنصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وطرحوا كثيراً من ازوادهم ، يتخففون منها للنجاة ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويق ، فقال المسلمون: يا رسول الله ؟ أنطمع أن لنا غزوة ؟ قال: (نعم) يعنون ثواب الجهاد([٩٦]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. لا تزال عند مشركي العرب بقايا من دين إسماعيل وإبراهيم متمثلة في الغسل من الجنابة ، وكانوا يؤمنون بالله، ويحلفون ، ويبرون أيمانهم.

٢. هذه الغارة تعتبر بمثابة رسالة للنبي (صلي الله عليه وسلم) وصحبه مفادها أن قريشاً لا تزال تتربص بهم الدوائر ، وذلك لكي يثبت للجميع أنها لا زالت قوية .

٣. لا تزال هنالك جيوب للمعارضة بالداخل ، تتمثل في بني النضير ، لابد من القضاء عليها .

---

[٩٦]. انظر السيرة النبوية لابن هشام ،ج٣ ص٤٤-٤٥.

٤. بيان أن الخروج للجهاد بنيته يحصل به الأجر ، ولو لم يحصل قتال.

٥. كل من يحدث العداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين ، علي المسلمين أن يستولوا علي ممتلكاتهم وأزوادهم .

المبحث الثاني

غزواته من السنة الثالثة إلي الرابعة من الهجرة

لقد خاض النبي (صلي الله عليه وسلم) في تلك الفترة سبع غزوات وهي:

أولاً: غـــزوة ذي أمـــر

ودخلت السنة الثالثة بعد انقضاء الثانية بما فيها من أحداث جسام ، أمور عظام ، وها هي ذي السنة الثالثة تفتتح بغزوة ذي أمر .

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل معركة أحد ، قادها في المحرم في السنة الثالثة .

وسببها إن استخبارات المدينة نقلت إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا ، يريدون الإغارة علي أطراف المدينة ، فندب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المسلمين ، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ، ما بين راكب وراجل ، واستخلف علي المدينة عثمان بن عفان([٩٧]) .

وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة ، أما النبي (صلي الله عليه وسلم) فقد وصل بجيشه إلي مكان تجمعهم ، وهو الماء المسمى (بذي أمر) فأقام هنالك صفراً كله ، من سنة ٣هـ أو قريباً من ذلك ، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ، ويستولي عليهم الرعب والرهبة ، ثم رجع إلي المدينة ولم يلق كيداً([٩٨]) .

---

[٩٧]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ، ص٢٤١.

[٩٨]. زاد المعاد ، لابن القيم ، ج٢ ص٩٠-٩١ . والسيرة النبوية، لابن هشام ، ج٢-ص٤٦.

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. مشروعية الخروج إلي العدو ومطاردته (جهاد الطلب) لما فيه من إرهاب للعدو وإعزاز للدين.

٢. أن للنبي (صلي الله عليه وسلم) عندما لم يجد قتالاً مع المشركين ، أقام علي مورد الماء صفراً كله ، مما يعد كميناً علي مصدر شرب العدو ، ومنعه من الوصول إلي الماء ، وهو نوع من الحرب ، ويعرف في هذا العصر بحرب المياه ، أو الحرب النفسية ، وهي حرب الأعصاب.

مما يفيد أن الحرب عندما تندلع ، يمكن أن تستعمل فيها جميع الحيل والمكايد والتدابير ضد العدو.

٣. ويؤخذ من البقاء والمكث الزمني علي أرض العدو وموارده ، جواز الرباط في أرض وموطن الأعداء ، رجاء قدومهم ، ويتحقق عندئذ من هذا الرباط ما يتحقق من القتال ، حتى وإن لم يصل لقاء العدو ، وفي هذا يرجع المجاهد أو المرابط بالأجر والثواب ، والذي يقتل أو حتى يموت يكون قد وقع أجره علي الله تعالي ، لقوله تعالي: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)([٩٩]) .

---

[٩٩]. سورة النساء:الآية (١٠٠) .

٤. الغرض من بقاء النبي (صلي الله عليه وسلم) في أرض العدو ، مدة من الزمن ، لإشاعة الرعب والخوف في قلوبهم ، وحرمانهم من المأوى والراحة ، ومنهم من التفكير في جمع شملهم مرة أخرى ، وهذا يشغلهم ويمنعهم من إعادة تنظيمهم وترتيب صفوفهم ، وليشعر الأعراب بقوة المسلمين .

ثانـياً: غـــزوة بحـــران

ثم غزا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، يريد قريشاً ، واستعمل علي المدينة أبن أم مكتوم([١٠٠]) ، فيما قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلي المدينة ، ولم يلق كيداً(١٠١) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي:

١. الدعوة إلي الله لا تعرف الراحة والدعة ، فنجده (صلي الله عليه وسلم) ما فرغ من غزوة حتى استعد للأخرى .

٢. مجرد تحرك النبي (صلي الله عليه وسلم) للغزو تظهر الآية الربانية في انهزام العدو.

---

[١٠٠]. اختلفوا في اسمه واسم أبيه فعند أكثر أهل الحديث هو عمر بن زائدة قال بعضهم: هو عبد الله بن زائدة بن الأصم، وقال آخرون: هو عبد الله بن قيس بن مالك بن الأصم بن رواحه بن صخر من السابقين إلي الإسلام هاجر إلي المدينة وكان النبي صلي الله عليه وسلم يستخلفه علي المدينة في غزواته كثيراً استشهد في القادسية ، تهذيب الكمال ج ١٣ ، ص٢٩٥.

[١٠١]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ص٤٦.

٣. جواز إمامة الأعمى في الصلاة ، ولكن لا تجوز إمامته في الإمامة الكبرى ، لأن من شروطها سلامة الحواس والبصر([١٠٢]) .

٤. بقاء النبي (صلي الله عليه وسلم) في أرض العدو مدة من الزمن ، ليشعرهم بقوة الدعوة الإسلامية ، وقوة رجالها الذين لا يعرفون الراحة والدعة ، ولكي يزرع في قلوب الذين كفروا الرعب والرهبة .

٥. علي الرغم من عدم وجود القتال ، لكن وقع الخروج في نفوس الذين آمنوا عظيم ، فقد زادهم إيماناً وتشبثاً بالدعوة إلي الله (تعالي) .

ثالثاً: غـــزوة أحـــــد

كانت هذه الغزوة بحق سلسلة من الامتحانات القاسية أمتحن بها الله صفوة هذه الأمة ، قال تعالي: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)([١٠٣]) ، حتى أظهر النبي (صلي الله عليه وسلم) وصحابته أنواعاً من البطولات ، وضروباً من التضحيات ، ودروساً خالدةً في الصدق والإيمان بالله ، والوفاء بالعهد ، والإخلاص ، والمبدأ ، لم تشهد الدنيا لها مثيلاً.

وقعت هذه الغزوة في السنة الثالثة للهجرة ، ويعتبر سببها الرئيس هو سعي قريش لرد اعتبارها ، واستعادة المركز الذي فقدته بين سكان الجزيرة العربية ، لما لحق بها من هدم لهيبتها ، وتحقير كرامتها في بدر الكبرى ، عندما فتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، فقد صممت قريش

---

[١٠٢]. الشرح الصغيرة علي أقرب المسالك، أحمد بن محمد الدردير، تحقيق: مصطفى كمال وصفي، ج٤، ص١٩١ ط (دولة الإمارات العربية المتحدة) سنة ١٩٨٩م.

[١٠٣]. سورة آل عمران: الآية(١٤٢).

علـي الانتقـام ، ومهاجمـة المسـلمين فـي عقـر دارهـم ، لـرد الاعتبـار ، ومحو وصمة العار التي لحقت بهم في بدر.

انتظمت مكة استعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة مع المسلمين ، فقام سادتها بتحريض قبائل العرب ، مثل ، قبائل كنانـة ، وثقيف علي الاشتراك معهم بالمال والرجال من أجل القضاء علي دعوة محمد (صلي الله عليه وسلم) ، فكان الاستعداد عظيماً ، حيث تمكن المشركون من حشد قوة بلغت ثلاثة آلاف مقاتل بكامل عددهم وعتادهم المادي والمعنوي .

تحرك جيش الكفار نحو المدينة حيث كان هذه المرة أكثر تنظيماً واستعداداً.

وبالمقابل لما سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بخبر مكة أعلن حالـة الطـوارئ بالمدينـة ، واسـتنفر أصـحابه للاسـتعداد لهـذه الغـزوة ، فاسـتعد المسـلمون بالسـلاح والمناوبـة فـي حراسـة المدينـة ، ونشـطت دوريات الاستطلاع لمعرفة أخبار العدو، وعندما تأكد للرسول (صلي الله عليه وسلم) أن جيش قريش يعسكر بالقرب من المدينة سارع إلي عقد مجلسه العسكري ، لوضع خطة الحرب ، حيث استقر الرأي علي خروج النبي (صلي الله عليه وسلم) إلي الكفار للقائهم خارج المدينة ، فكان رأي بعض الشيوخ من المسلمين عدم الخروج من المدينة ، غير أن كثيراً من الصحابة ممن لم يكن لهم شرف القتال في بدر رغبوا في الخروج ، ولم يزل أصحاب هذا الرأي برسول الله (صلي الله عليه وسلم)

حتى وافقهم علي ما أرادوا ، فدخل بيته ، ولبس درعه ، وأخذ سلاحه ، وظن الذين ألحوا علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالخروج أنهم قد استكرهوه علي ما يريد ، فندموا علي ما كان منهم ، ولما خرج عليهم قالوا: استكرهناك يا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت فأقعد . فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته (أي درعه) أن يضعها حتى يقاتل)([١٠٤]) .

ثم إن النبي (صلي الله عليه وسلم) خرج من المدينة في ألف من أصحابه ، وذلك يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال ، علي رأس اثنين وثلاثين شهراً من هجرته عليه الصلاة والسلام([١٠٥]) .

قال ابن هشام: واستعمل ابن أم مكتوم علي الصلاة بالناس ، قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، وقال: أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه ، من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول: يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، قال: فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه([١٠٦]) .

---

[١٠٤]. سيرة ابن هشام ، ج٣ ص٦٣.

[١٠٥]. المصدر نفسه ، ج ٣ص ٦٣.

[١٠٦] المصدر السابق ، ج٣ ص ٦٤.

تحرك (صلي الله عليه وسلم) بجيشه إلي منطقة الشعب في جبل أحد ، وهو مكان يطل علي وادي قناة الذي يعسكر فيه المشركون ، فجعل المدينة أمامه وهضاب الجبل خلفه ، وعند وصوله قام بتعبئة الجنود ، وتنظيمهم في صفوف للقتال ، واختار خمسين من أمهر الرماة للمرابطة علي الجبل خلف المسلمين ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وأوعز إليهم قائلاً: (قوموا علي مصافكم ، هذه فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد انتصرنا لا تشركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا)([١٠٧]) .

قال ابن هشام: وأجاز رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يومئذ سمرة ابن جندب الغزاري ، ورافع بن خديج ، أخا حارثة ، وهما أبنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له: يا رسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له: يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعاً ، فأجازه([١٠٨]) .

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال: فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني ، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان لأبي دجانة عصابة حمراء فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إنها لمشية يبغضها الله إلا في

---

[١٠٧]. طبقات ابن سعد ، ج٣ص٨٠.

[١٠٨]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج٣ص٦٦.

مثل هذا الموطن) ، ثم رفع اللواء إلي مصعب بن عمير رضي الله عنه([١٠٩]).

قال ابن إسحاق: وتعبأة قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس ، فجعلوا علي ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلي ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ([١١٠]) .

وقبل نشوب المعركة قام قائد جيش المشركين أبو سفيان بن حرب بمناورات سياسية ، قصد بها زعزعة صفوف المسلمين ، وذلك عندما أرسل إلي الأنصار ، طالباً منهم التخلي عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، وأبلغهم بأنه لم يأت لقتالهم ، وإنما جاء لقتال قومه من قريش ، ثم قام مرة أخرى أبو عامر لاستمالة قومه من الأوس ، لترك الرسول (صلي الله عليه وسلم) وبعد فشل المحاولتين تقابل الخصمان وجهاً لوجه ، حيث كان المشركون هم البادئين بالهجوم علي الجناح الأيسر للمسلمين ، لفتح ثغرة لضرب المسلمين من الخلف ، ولكن هذه المحاولة أحبطت بنبال الرماة وسيوف المشاة ، ثم تكررت هذه المحاولة للمرة الثانية والثالثة ، ففشلت أيضاً بعدها صدرت الأوامر من القيادتين فالتحم الجيشان ، وحميت الحرب.

وراح المسلمون يحسون المشركون في اندفاع مذهل ، وبسالة ، مما جعل المشركين يسقطون واحداً تلو الآخر ، فشاع الذعر والاضطراب في نفوسهم وصفوفهم ، وانهارت روحهم المعنوية بعد سقوط اللواء ، فبدأ

---

[١٠٩]. طبقات ابن سعد ، ج٣ ص٨٠ .

[١١٠]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ص٦٦.

ميزان الحرب يسير في صالح المسلمين ، كما بدأ المشركون في الفرار ومغادرة أرض المعركة ، تاركين معسكرهم للمسلمين غنيمة ، وكادت المدينة أن تسجل نصراً ساحقاً للمرة الثانية علي مكة ، ولكن الخروج علي النظام ، وعصيان أوامر القائد غيّر الموقف مرة أخرى ، ورجح كفة المشركين ، فعندما شاهد الرماة نصر المسلمين وجمعهم للغنائم ، اعتبروا أن الحرب قد انتهت لصالحهم ، فنسوا أمر الرسول (صلي الله عليه وسلم) وأمر قائدهم الذي حاول إثناءهم عن ترك مواقعهم ، ولكن دون جدوى .

وحينها كان خالد بن الوليد يراقب الموقف ، وينتظر الفرصة ، وعندما جاءته لم يتوان في اقتحام الموقع ، وإجلاء من تبقي من الرماة إلي داخل معسكر المسلمين ، فضربهم من الخلف ، وأربك صفوفهم ، وغير ميزان المعركة لصالح المشركين بانقضاضه علي مؤخرة الجيش الإسلامي ، فتجمع المشركون ثانيةً وقاموا بشن هجوم مضاد ، وطوقوا المسلمين ، وفرقوا صفوفهم ، وعمت الفوضى بينهم ، مما جعلهم يتساقطون بسيوف الكفار ، حتى بلغ عدد الشهداء سبعين شهيداً ، وكان في مقدمتهم ، حمزة بن عبد المطلب ، أبو دجانة ، ومصعب بن عمير (رضي الله عنهم) .

وبهذا الهجوم انكشف المسلمون ، وداخلهم الرعب ، وأخذ المسلمون ينتقلون علي غير شعار أو هدى ، وأوجع المشركون في المسلمين قتلاً ذريعاً ، حتى خلص إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فرمى

بالحجارة ، حتى رمى لشقه ، وأصيبت رباعيته (السن المجاورة للناب) ، وشج في وجهه ، وجعل الدم يسيل علي وجهه ، فيمسحه ، وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلي ربهم؟) وجاءت فاطمة (رضي الله عنها) تغسل عنه الدم وعلي يسكب الماء بالمجن ، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته ، حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك([١١١]) .

وأثناء ذلك شاع خبر مقتل النبي (صلي الله عليه وسلم) في المشركين والمسلمين ، وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين ، الذين لم يكونوا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وانهارت معنوياتهم ، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد ، وعمتها الفوضى والاضطراب ، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة هجمات المشركين ، لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم ، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلي المسلمين([١١٢]) .

لقد أظهر أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) بسالة نادرة ، وجب عظيم لنبيهم ، فتمكنوا من كسر طوق المشركين ، وأجبروهم علي التراجع عن مكان وجود النبي (صلي الله عليه وسلم) .

أخرج البخاري أنه لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (صلي الله عليه وسلم) وأبو طلحة بين يدي النبي (صلي الله عليه وسلم)

---

[١١١]. فقه السيرة النبوية ، للبوطي ، ص٢٥٩.

[١١٢]. المصدر السابق، ص٢٥٩.

مجوب[١١٣] عليه بجحفة له[١١٤] ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع. يشرف النبي (صلي الله عليه وسلم) ينظر إلي القوم ، فيقول أبو طلحة: (بأبي أنت وأمي لا تشرف ، يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك)([١١٥]).

ترس أبو دجانة نفسه دون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والنبل يتلاحق في ظهره وهو منحن علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لا يتحول ، وترس زياد بن السكن نفسه دون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى قتل هو وخمسة من أصحابه ، وكان آخرهم علي ما رواه ابن هشام عمارة بن يزيد بن السكن ، فقاتل دونه عليه الصلاة والسلام حتى أثبتته الجراح ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (أدنوه مني) ، فوسده قدمه ، فمات وخده علي قدم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)([١١٦]) .

وعلى الرغم من الحصار المضروب علي جيش المسلمين إلا أن النبي (صلي الله عليه وسلم) تمكن من سحب قواته ، واعتصم بجبل أحد لتجنيب الجيش المسلم خطر الإبادة والتطويق إذ بقوا في أماكنهم الحالية ، وهذا الانسحاب ليس انسحاب المنهزم ولكن انسحاب تنظيم وإعادة صف ، حيث ظل المسلمون يقاتلون أثناء الانسحاب بثبات وقوة.

---

[١١٣]. مترس بنفسه عليه.

[١١٤]. ترس من جلد.

[١١٥]. البخاري مع الفتح كتاب المغازي باب ما أصاب النبي صلي الله عليه وسلم يوم أحد ، ج٧ص٢٨٢.

[١١٦]. فقه السيرة ، البوطي، ص٢٦٠.

وبعد اعتصام المسلمين بالجبل ، وفشل كل محاولات المشركين في النيل منهم ، قرر أبو سفيان إنهاء القتال ، وأعطي الأوامر بالرحيل ، وهكذا انتهت الحرب.

أخذ اليهود والمنافقون يظهرون الشماتة بالمسلمين ، وراح عبد الله بن أبي بن سلول يقول هو وأصحابه للمسلمين: (لو أطعتمونا ما قتل منكم من قتل) وأخذوا يتساءلون عن النصر الذي كانوا يتوهمونه مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأنزل الله تعالي آيات من آل عمران تعليقاً علي إرجاف اليهود والمنافقين وبياناً لحكمة ما حصل في غزوة أحد ، وهي قوله تعالي: (الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)([117])...([118]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. كان هدف المسلمين الرئيس في هذه الغزوة هو الدفاع عن عقيدتهم ، حماية لحرية نشرها ، وتوطيد أركان الإسلام.

٢. حدثت بعض المعجزات للرسول (صلي الله عليه وسلم) في هذه المعركة مثل ، إرجاع عين قتادة ، بعد أن ضرب فيها ، وخرجت من موقعها ، وهذه المعجزة تؤكد أن الرسول (صلي الله عليه وسلم) مؤيد بقوة إلهية وبالتالي تؤثر هذه الحادثة علي الدعوة إلي الله([119]).

---

[117]. سورة آل عمران : الآية (١٦٨) .

[118]. فقه السيرة النبوية ، للبوطي، ص٢٦٠-٢٦١ .

[119]. دلائل النبوة ، للبيهقي ، ج٣ ص٢٥١ .

٣. الخطأ الذي حدث في أحد وأدى إلي رجحان كفة المشركين ، بعد أن كانت لصالح المسلمين هو مخالفة الرماة لأوامر الرسول (صلي الله عليه وسلم) وهذه الحادثة هي رسالة قوية للمسلمين خاصة الدعاة منهم ، وهي أن إتباع أوامر الرسول (صلي الله عليه وسلم) هو أول الخطوات في نجاح كل عمل يقوم به المسلمون الدعاة .

٤. ما حدث في غزو أحد من ابتلاءات عظيمة للمسلمين مثل ، استشهاد سبعين من المسلمين ، وجرح عدد كبير منهم ، علي رأسهم الرسول (صلي الله عليه وسلم) وهو دليل علي أن الدعوة تحتاج إلي كثير من التضحيات ، والبذل في سبيل نشرها هذا الدين بالجهد والمال والنفس .

٥. عدم الاستعانة بالكفار مهما كانت حاجة المسلمين ، من أهم نتائج هذه الغزوة ، حيث رفض الرسول (صلي الله عليه وسلم) مشاركة كتيبة من اليهود([١٢٠]). بالرغم من حاجته إليهم ، لأنهم كفار. لذلك فإن مراعاة الدعاة لهذه النقطة في الدعوة أمر مهم وعامل من عوامل نجاحها.

٦. أن الشورى ملزمة وقد رأينا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يلتزم برأي الأغلبية من شبان الصحابة ، علي الرغم من مخالفة رأيه لرأيهم ، ولكن أنحسم الأمر بالخروج لصالح الأغلبية .

[١٢٠]. طبقات بن سعد، ج٢ص٤٨.

٧. جـواز اشـتراك جميـع قطاعـات المجتمـع ، بمـا فـي ذلـك الأطفـال والنسـاء وأصـحاب الأعـذار ، وإقامـة التحصـينات والكمـائن ، واتخـاذ أساليب الخداع ، والمكر في الحرب .

٨. يجوز للمسلم المقاتل أن يظهر قوته في ساحة المعركة أمام عدوه ، لإرهابه ، كما فعل أبو دجانة ، ويجوز للشيخ إصباغ رأسه بالسواد ، حتي يظنه العدو شاباً .

٩. أن النصر إنما يكون مع الصبر ، وإطاعة أوامر القائد الصالح واستهداف القصد الديني المجرد .

١٠. أن عادة الرسل أن تبتلي ، وتكون لها العاقبة ، ولو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم ، ولم يميز الصادق من غيره.

١١. أظهرت هذه المعركة نفاق المنافقين ، وعبرها عرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم ، فاستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم.

رابعـاً: غـــزوة حمـــراء الأســـد

وحتى لا تستمتع قريش بطعم النصر قرر الرسول (صلي الله عليه وسلم) ملاحقة جيش الكفار بعد رجوعهم إلـي المدينـة ، حيث نظموا صفوفهم ، ولحقوا به في منطقة حمراء الأسد ، وعندما سمع أبو سفيان بتحرك المسلمين نحوه فر هارباً إلي مكة بنصر ضعيف .

فقد بات الرسول (صلي الله عليه وسلم) وهو يفكر في الموقف ، فقد كان يخاف من المشركين أن يفكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئاً من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال ، فلابد من أن يندموا علي

ذلك ، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية ، فصمم علي أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي([١٢١]) .

فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس ، وإنما خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مرهباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم([١٢٢]) .

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى انتهى إلي حمراء الأسد ، واستعمل علي المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلي المدينة([١٢٣]) .

وقد تحالف الرسول (صلي الله عليه وسلم) مع خزاعة ، حيث إن معبد بن أبي معبد الخزاعي من أمراء خزاعة ، كان قد مر بأبي سفيان بن حرب ، ومن معه من المشركين ، بالروحاء ، وقد أجمعوا علي العودة إلي قتال المسلمين ، فسأل أبو سفيان معبداً: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم ، في جمع له لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف في يومكم ، ندموا علي ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أري مثله قط. قال

---

[١٢١]. الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، ص٢٨٤.

[١٢٢]. انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص١٠١.

[١٢٣]. المصدر السابق، ج ٣ ص١٠٢.

ابوسفيان: ويحك ما تقول؟ قال معبد: والله ما أراك ترتحل ، حتى ترى نواصي الخيل ، قال: والله قد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل شأفتهم. قال: إني أنهاك عن ذلك([١٢٤]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. الرد علي العدو ، وعدم إعطائه فرصة لكي يظهر قوته وجبروته ، ويظهر ضعف المسلمين ، وفيه دلالة علي أن المسلمين ما زالوا أقوياء ، جاهزون للقتال في كل زمان ومكان .

٢. إن الحرب بين الإسلام والكفر قائمة ، وطويلة ، لانهاية لها إلي يوم القيامة .

٣. الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها الرسول (صلي الله عليه وسلم) وصحابته في هذه الغزوة ، علي الرغم من الهزيمة في أحد لم يتخلف منهم أحد ، علي الرغم ما بهم من جراحات وآلام .

٤. لقد أستفاد النبي (صلي الله عليه وسلم) من التحالف السياسي مع قبيلة خزاعة ، وذلك بتزويده بأخبار العدو ، والتخذيل عن المسلمين ، وإرهاب المشركين ، مما كان له الأثر الكبير في نتيجة المعركة .

٥. لقد أراد النبي (صلي الله عليه وسلم) بهذا الخروج تأديب اليهود والمنافقين في المدينة وإرهابهم بإرهاب المشركين .

٦. وجوب الاعتماد علي الله ، وطلب النصر منه بعد الأخذ بالأسباب المادية .

---

[١٢٤]. في ظلال السيرة النبوية، محمد عبد القادر أبو فارس، ص١٤٤ ، ط٢(دار الفرقان – عمان) ١٤٠٨هـ –١٩٨٧م.

خامساً: غـزوة بني النضـــير

وقد سبقت هذه الغزوة مأساة الرجيع ومأساة بئر معونة([١٢٥]) .

وكان إجلاء بني النضير في شهر ربيع الأول ، سنة ٤هـ. بعد وقعة أحد تجرأوا ، فكاشفوا بالعداوة والغدر ، وأخذوا يتصلون بالمنافقين ، وبالمشركين من أهل مكة سراً ، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين ، وصبر النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى ازدادوا جراءة ، وجسارة بعد وقعة الرجيع وبئر معونة ، حتى قاموا بمؤامرة تهدف للقضاء علي النبي (صلي الله عليه وسلم)([١٢٦]) .

روى ابن سعد أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خرج يوم السبت ، فصلي في قباء ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ثم أتى بني النضير ، فكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وكان لهما من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جوار وعهد ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف ، وذلك ما رواه ابن إسحاق وغيره ، فقالوا: (نفعل يا أبا القاسم ما أحببت) وخلا بعضهم ببعض ، وهموا بالغدر.

وقال عمرو بن جحاش النضري : أنا أظهر علي البيت ، فأطرح عليه صخرة وكان الرسول (صلي الله عليه وسلم) واقفاً إلي جنب جدار من بيوتهم.

---

[١٢٥]. انظر سيرة ابن هشام ، ج٣ ص١٥١.

[١٢٦]. الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري، ص٢٩٥.

وزاد ابن سعد أن سلام بن مشكم (وهو من يهود بني النضير) قال لهم: لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما هممتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه([١٢٧]) .

ونزل جبريل من عند رب العالمين علي النبي (صلي الله عليه وسلم) وأخبره بما هموا به ، فنهض سريعاً كأنه يريد حاجة ، وتوجه إلي المدينة ، ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت ولم نشعر بك ، فأخبرهم بما همت به اليهود.

وما لبث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن بعث محمد بن مسلمة إلي بني النضير يقول لهم : أخرجوا من المدينة ، ولا تساكنوني بها ، وقد أجلتم عشراً ، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه ، ولم يجد يهود مناصاً من الخروج ، فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل ، بيد أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بعث إليهم أن أثبتوا ، وتمنعوا ، ولا تخرجوا من دياركم ، فإن معي ألفين ، يدخلون معكم حصنكم ، فيموتون دونكم ، قال تعالي: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)([١٢٨]) وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان([١٢٩]).

---

[١٢٧]. الطبقات الكبرى ، لابن سعد، ج٣ ، ص٩٩.

[١٢٨]. سورة الحشر: الآية(١١).

[١٢٩]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ،ص٢٩٥.

ونتيجة لهذا فقد عادوا عما أزمعوا عليه من الخروج ، وتحصنوا في حصونهم ، فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بإعداد العدة لحربهم ، والسير إليهم ، وقد تحصن اليهود بحصونهم ، معهم النبل والحجارة ولكن ابن أبي خذلهم ، فلم ينفذ وعده معهم ، فاحصرهم النبي (صلي الله عليه وسلم) وأمر بقطع نخليهم وإتلافها. فنادوه: يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه علي من يصنعه ، فما بال قطع النخيل ، وتحريقها ؟ وقد أنزل الله تعالي في ذلك ، قال تعالي: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)([١٣٠])...([١٣١]) .

وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم ، علي أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ، عدا الحلقة (أي السلاح) ، فنزل اليهود علي ذلك ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته بسجاف بابه([١٣٢]) ، فيضعه علي ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلي خيبر ، ومنهم من سار إلي الشام ، وتركوا الأموال لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فكانت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة

---

[١٣٠]. سورة الحشر: الآية(٥).

[١٣١]. فقه السيرة النبوية ،للبوطي ،ص٢٨٠-٢٨١.

[١٣٢]. أي عتبته.

سماك ابن خرشة ذكرا فقراً ، فأعطاهما رسول الله (صلي الله عليه وسلم)([١٣٣]) .

وقد كانت هذه الغزوة في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة ، وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها ، فوصف طرد اليهود ، وفضح مسلك المنافقين ، وبيّن أحكام الفيء ، وأثنى على المهاجرين والأنصار ، وبيّن جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية([١٣٤]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. ثبت أن اليهود لا يحترمون العهود والمواثيق ، ولا يوفونها ، ويشهد علي ذلك نقضهم لكل عهودهم مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي الإطلاق .

٢. إن الهدف الأساس من الغزو في سبيل الله ، هو نشر الدعوة ، وتأمين حركة الدعاة بالداخل والخارج .

٣. إن المعاهدين إذا نقضوا العهد بقول أو فعل ، ينتقض العهد ، وتعلن الحرب .

٤. قد تقتضي الضرورة قطع الأشجار وهدم الجسور وبعض الدور ، كما فعل النبي (صلي الله عليه وسلم) .

---

[١٣٣]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص ١٩١ – ١٩٢.

[١٣٤]. الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٢٩٧.

٥. في إجلاء بني النضير رسالة إلي من تبقي من اليهود بالداخل ، وإلي المنافقين ، وإلي العرب عامة ، لفتح الطريق أمام الدعوة لكي تصل إلي المدعو .

٦. التأييدات الغيبية للنبي (صلي الله عليه وسلم) تعكس قوة هذه الدعوة وقائدها .

٧. بيان أن الفيء خلاف الغنيمة صورة وحكماً([١٣٥]) .

٨. في مقتل عمرو بن جحاش اليهودي الذي أراد أن يلقي حجراً علي رأس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عبرة لكل معتبر ، وعظة لم أراد أن يتعظ .

سادساً: غـــزوة ذات الرقـــاع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادي ، ثم ، غزا نجداً ، يريد بني محارب ، وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل علي المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال: عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام([١٣٦]) .

قال ابن هشام: إنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع ، يقال لها: ذات الرقاع([١٣٧]) .

---

[١٣٥]. انظر القوانين الفقهية ، محمد بن أحمد بن جزي ، ط (دار الفكر: بيروت) بدون تاريخ ، ص ١٠٠ .

[١٣٦]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص٢٠٣.

[١٣٧]. المصدر السابق ، ج٣ص٢٠٤.

وسببها ما ظهر من الغدر لدى كثير من قبائل نجد بالمسلمين ، ذلك الغدر الذي تجلى في مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلي الله تعالي ، وقد قذف الله تعالي في قلوب تلك القبائل الرعب ، وقد كانت جموعاً كبيرة ، فتفرقوا بعيداً عن المسلمين ، ولم يقع أي قتال .

وأخرج البخاري ومسلم أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، صلي في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف ، وأن طائفة صلت معه ، وطائفة ، تجاه العدو ، فصلى بالتي معه ركعة ، ثم ثبت قائماً ، وأتموا لأنفسهم ، ثم انصرفوا فصفوا تجاه العدو ، جاءت الطائفة الأخرى ، فصلي بهم الركعة التي بقيت من صلاته ، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ، ثم سلم بهم([١٣٨]).

وأخرج البخاري أيضاً عن جابر (رضي الله عنه): (أنه لما غفل رسول الله "صلي الله عليه وسلم" قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله "صلي الله عليه وسلم" وتفرق الناس ، يستظلون الشجر ، ونزل رسول الله "صلي الله عليه وسلم" تحت شجرة، فعلق بها سيفه ، قال جابر: فنمنا نومة ، فإذا رسول الله "صلي الله عليه وسلم" يدعونا ، فجئناه ، فإذا عنده أعرابي جالس ، فقال رسول الله "صلي الله عليه وسلم" : إن هذا أخطرط سيفي ، وأنا نائم ، فاستيقظت ،

[١٣٨]. اخرجه البخاري في ج ٥ ، ص٥٣ ، باب: غزوة ذات الرقاع، ورواه مسلم في ٢ ص ٢١٤ باب: الخوف.

وهو في يده صلتاً ، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله ، فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه رسول الله "صلي الله عليه وسلم")([١٣٩]) .

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. مواصلة النبي (صلي الله عليه وسلم) للغزو يعكس الأثر الكبير للقتال في الدعوة إلي الله ، ويخلق لها مساحات كبيرة ، لكي تنطلق عبرها.

٢. الذين كفروا أشد حباً للحياة الدنيا ، وأكثر خوفاً من الذين آمنوا ، مصداقاً لقول النبي (صلي الله عليه وسلم) : (نصرت بالرعب مسيرة شهر)([١٤٠]).

٣. تتجلي آية النبوة المحمدية في كثير من المواقف التي تعكس مكانة صاحب الدعوة عند الله تعالي ، ومنها انهيار الأعرابي ، وسقوط السيف من يده وغيرها .

٤. قلة وسيلة الترحال ، وحرارة الشمس لم تمنع النبي (صلي الله عليه وسلم) وصحبه من مواصلة أعباء الجهاد ، ومطاردة الأعداء الذين يقفون عقبة في وجه الدعوة .

٥. مشروعية صلاة الخوف ([١٤١]) عند لقاء العدو.

---

[١٣٩]. صحيح البخاري ، ج٥، ص٥٢-٥٤.

[١٤٠]. أخرجه البخاري ، كتاب الطهارة ، باب التيمم، رقم ٣٢٨ ، ج١ ، ص١٢٨.

[١٤١]. هنالك من يقول بأن صلاة الخوف أول شرعيتها في غزوة عسفان التي كانت بعد غزوة الخندق في أواخر السنة الخامسة، انظر نيل الأوطار ، ج٤ ص٩.

سـابعاً: غـزوة بدر الآخـرة

وتسمى غزوة بدر الصغرى ، وبدر الموعد للموادعة عليها ، مع أبي سفيان ، وتسمى بدر الثالثة .

في شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لموعده في ألف وخمسمائة ، وكانت الخيل عشرة أفراس ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، واستخلف علي المدينة عبد الله بن رواحة ، وانتهى إلي بدر ، فأقام بها ينتظر المشركين([١٤٢]) .

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثماني ليال ، ينتظر أبا سفيان ، بالظهران ، وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان ، ثم بدأ له في الرجوع ، فقال: يا معشر قريش ، أنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإني راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق([١٤٣]) .

فأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي بدر ، ينتظر أبا سفيان ، لميعاده فأتاه مخشى بن عمرو الضمري ، وهو الذي حالفه علي بني ضمرة ، في غزوة ودان فقال: يا محمد ، أجئت للقاء قريش علي هذا الماء؟ قال: (نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك ، رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك) ، فقال: لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك حاجة ، وأقام رسول الله (صلي الله عليه

---

[١٤٢]. الرحيق المختوم، المباركفوري، ص٢٩٩.

[١٤٣]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج ، ص٢٠٩.

وسلم) ينتظر أبا سفيان ، ثم انهج الله عز وجل بصائرهم ، فخرجوا بتجارات ، فأصابوا الدرهم درهمين ، ولم يلقوا عدواً([١٤٤]).

أثر الغزوة في الدعوة إلي الله تعالي :

١. بيان الوفاء المحمدي الدال علي الشجاعة ، وقوة الأقدام ، والتضحية في سبيل نشر هذا الدين ، إذ لم يرهب أبا سفيان ، كما رهب هو ، وولي من الطريق خائفاً.

٢. خروج أبي سفيان من مكة متثاقلاً ، مفكراً في عقبى القتال ، وقد أخذه الرعب ، واستولت على مشاعره الهيبة ، يؤكد قول النبي (صلي الله عليه وسلم): (ونصرت بالرعب مسيرة شهر) .

٣. مشروعية وأهمية البيع والشراء في كل فرصة تسنح ، حتى في الجهاد.

٤. أقامتهم ببدر ثمانية أيام ، وعملهم بالتجارة ، وطد هيبتهم في النفوس ، وسادوا علي الموقف .

٥. يجوز للإمام أن ينقض العهد مع أهل الهدنة ، إذا خاف منهم خيانة . لقوله تعالي: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)([١٤٥]) .

٦. ساد الأمن والسلام ، واطمأنت دولة النبي (صلي الله عليه وسلم) فتفرغ للتوجه إلي أقصى حدود الجزيرة العربية ، حتى تصير السيطرة للمسلمين علي الموقف .

---

[١٤٤]. انظر تاريخ الطبري ، للطبري، ج٢، ص٨٧ .. وعيون الأثر ، لابن سيد الناس ، ج٢ ص ٨٢.

[١٤٥]. سورة الأنفال : الآية (٥٨).

المبحث الثالث

غزواته من السنة الخامسة إلي السابعة من الهجرة

خاض النبي (صلي الله عليه وسلم) في تلك الفترة عشر غزوات وهي:

أولاً :غـزوة دومــة الجــندل

بعد عودة النبي (صلي الله عليه وسلم) من بني النضير ، وقد ساد الأرض السلام ، واطمأنت دولته ، تفرغ للتوجه إلي أقصى حدود العرب ، حتى تصير السيطرة للمسلمين علي الموقف .

ثم جاءت إليه الأخبار أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان لم عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينـــة ، فندب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، ومعه دليل من بني عذره ، يقال له مذكور ، هاد فلما دنا من دومة الجندل ، أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم علي ماشيتهم ورعاتهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب ، في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ، فتفرقوا ، فنزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بساحتهم ، فلم يجد أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبعث السرايا ، ثم رجعوا، وأخذ محمد بن مسلمة ، رجلاً منهم ، فأتي به رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسأله عن أصحابه ، فقال: هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله

(صـــلي الله عليـــه وســـلم) الإســـلام ، فأســـلم ، ورجـــع رســـول الله (صـلي الله عليـه وسـلم) إلـي المدينـة([١٤٦]). وأودع فـي تلـك الغـزوة عيينة بن حصن([١٤٧]) .

أثر الغـزوة في الدعـوة إلي الله تعالي :

١. بهذه الإقدامات السريعة الحاسمة ، وبهذه الخطط الحكيمة الحازمة نجح النبي (صلي الله عليه وسلم) في بسط الأمن ، وتنفيذ السلام في المنطقـة ، والسـيطرة علـي الموقـف ، وتحويـل مجـرى الأيـام لصـالح المسلمين ، وتخفيف المتاعب الداخلية والخارجية التي كانت قد توالت عليهم ، وأحاطتهم من كل جانب ، فقد سكت المنافقون واستكانوا ، وتم إجـلاء قبيلـة مـن اليهود ، وبقيت الأخرى تظـاهر بإيفـاء حـق الجـوار ، وبإيفـاء العهود والمواثيـق ، واسـتكانت البـدو والأعـراب ، وحـادت قـريش عن مهاجمة المسلمين ، ووجد المسلمون فرصة لإفشاء الإسلام ، وتبليغ رسالات رب العالمين ، وإرعاب الروم .

٢. يجـوز للقائـد أن ينشـر السـرايا ، ويبثهـا فـي أرض العـدو ، وتقـديم الدعوة إلي الأسرى للدخول في الإسلام ، لأن هذا هو الهدف الأساس الذي من أجله قامت الغزوات .

٣. في موادعته لعيينة بن حسن مكسب كبير للدعوة الإسلامية.

---

[١٤٦]. البداية والنهاية ، لابن كثير، ج٤، ص٩٢.

[١٤٧]. عيينة بن حسن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد ما بعدها من الغزوات مع النبي صلي الله عليه وسلم وهو من المؤلفة قلوبهم ارتد في زمن أبي بكر وروى الشافعي أن عمر رضي الله عنه قتله علي الردة وقبل بل رجع إلي الإسلام وعاش إلي زمن سيدنا عثمان ، أنظر الإصابة ، ج٤، ص٧٦٩.

٤. فرض هيبة الدولة الإسلامية علي القبائل العربية المتاخمة لحدود الروم في الشمال ، وإشعارهم بأن هذه الدولة تملك من القوة ما يمكنها من القضاء عليهم عندما تريد ذلك ، لئلا يطمعوا بمهاجمة جنبات الجيش المتقدم لحرب الروم ، أو لئلا يكونوا عوناً للروم علي المسلمين.

ثانياً: غـــزوة الخـــندق

وتسمى بغزوة الأحزاب ، وقد كانت في شوال سنة خمس من الهجرة سببها: أن نفراً من زعماء اليهود ، من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة ، يحرضونهم علي غزو الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، ويوالونهم عليه ، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم: وقالوا: (سنكون معكم حتى نستأصله ، وقالوا لهم: إن ما أنتم عليه خير من دين محمد "صلي الله عليه وسلم") ففيهم نزل قوله تعالي: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)([١٤٨]) فاتفقوا مع قريش علي حرب المسلمين وتواعدوا لذلك .

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان ، فدعوهم إلي مثل ما دعوا قريشاً إليه ، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم علي ذلك ، ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة وتم لهم مع هؤلاء جميعاً تواعد في الزمان والمكان ، لحرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)([١٤٩]) .

---

[١٤٨]. سورة النساء :الآية(٥١-٥٢).

[١٤٩]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج ٣ ص٢١٤ – ٢١٥.

فلما بلغ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الخبر ، وسمع بخروجهم من مكة، سارع إلي عقد مجلس استشاري أعلى ، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة ، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى اتفقوا علي قرار قدمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال سلمان: يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ، وكانت خطة حكيمة لمن تكن تعرفها العرب قبل ذلك([١٥٠]).

فخرجوا من المدينة ، وعسكر بهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في سفح جبل سلع ، فجعلوه خلفهم ، ثم هبوا جميعاً يحفرون الخندق بينهم وبين العدو ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، وعدد ما اجتمع من قريش والأعراب والقبائل الأخرى عشرة آلاف([١٥١]) .

فعمل فيه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يوارون بالضعيف من العمل ، ويتسللون إلي أهليهم بغير علم من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التي لابد له منها ، يذكر ذلك للرسول (صلي الله عليه وسلم) ، ويستأذنه في اللحاق بحاجته

---

[١٥٠]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٣٠٣.

[١٥١]. انظر: فقه السيرة النبوية ، للبوطي، ص٣١٣.

، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلي ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له([١٥٢]) .

وأنزل في المنافقين: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([١٥٣]) .

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، فيها من الله تعالي عبرة في تصديق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون([١٥٤]) .

أخرج البخاري في صحيحه عن جابر (رضي الله عنه) ، قال: (إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدبة شديدة ، فجاؤوا النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالوا: هذه كدبة عرضت في الخندق ، فقال: أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي (صلي الله عليه وسلم) المعول ، فضرب ، فعاد كثيباً أهيل (أو أهيم)[١٥٥] فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلي البيت ، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي (صلي الله عليه وسلم) شيئاً ما كان لي في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي (صلي الله عليه وسلم)

---

[١٥٢]. السيرة النبوية ، لابن هشام، ج٣، ص ٢١٦.

[١٥٣]. سورة النور : الآية(٦٣).

[١٥٤]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ، ص٢١٧.

[١٥٥]. الأهيل أو الأهيم الرمال التي لا تروي ، أنظر البداية وا لنهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٥، ص٢٨٨.

والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي ، قد كانت أن تنضج ، فقلت: طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال: كم هو؟ فذكرت له ، قال: كثير طيب ، فقل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، ثم نادي المهاجرين والأنصار ، فقال لهم: قوموا... وفي طريق أخرى : فصاح النبي (صلي الله عليه وسلم) : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم ، فلما دخل جابر علي امرأته قال: ويحك جاء النبي بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت: هل سألك كم طعامك؟ قال: نعم ، قالت: الله ورسوله أعلم .

ثم جاء النبي (صلي الله عليه وسلم) ، فقال: ادخلوا ، ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلي أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويفرق حتى شبعوا وبقي بقية قال: كلي هذا وأهدى ، فإن الناس أصابتهم مجاعة (وفي رواية أخرى) فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوا وانصرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو)([١٥٦]) .

أقبلت قريش في أربعة آلاف حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزعابة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف حتى نزلوا بذنب نقمي إلي جانب أحد.

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة ، وجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها ، فالتجأوا إلي فرض الحصار علي المسلمين

---

[١٥٦]. صحيح البخاري، كتاب المغازي والسير ، باب: غزوة الخندق، ج٦، ص ٤٦ . وانظر: فتح الباري، ج٧ ص٢٧٩–٢٨٠.

، بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم ، إذ كانت هذه الخطة مكيدة ما عرفتها العرب ، فلم يكونوا أدخلوها في حسابهم رأساً.

وقد حاول المشركون في بعض الأيام محاولة بليغة ، لاقتحام الخندق ، أو لبناء الطرق فيها ، ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة ، ورشقوهم بالنبل وناضلوهم أشد النضال حتى فشل المشركون في محاولتهم([١٥٧]).

وبينما كان المسلمون يواجهون هذه الشدائد ، خرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، فأغراه بنقض العهد مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال له: جئتك بقريش علي قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان علي قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني علي أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه ، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر ، ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً .

ولم يزل يحي بكعب حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد ، وانتهي الخبر إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأرسل سعد بن معاذ ليتحقق من الخبر ، وأوصاه أن يلحن له بإشارة يفهمها إذا كان الخبر حقاً ، وأن لا يفت في أعضاد الناس ، وإن كان كذباً فليهجر به في الناس ، فلما استطلع سعد الخبر وراه حقاً عاد إلي رسول الله (صلي الله

---

[١٥٧]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٣٠٦.

عليه وسلم) فقال لـه: (عضل والقارة) أي كغدر عضل والقارة ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : الله أكبر، أبشروا([158]).

وقد كان أحرج موقف يقفه المسلمون، فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف ، بينما كان أمامهم جيش عرمرم لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه ، وكانت ذراريهم ونساؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ ، وصاروا كما يقول الله تعالي: (إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) ، (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)([159]) ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن علي نفسه أن يذهب إلي الغائط. وحتى قال بعض آخر في ملأ من رجال قومه: إن بيوتنا عورة من العدو ، فأذن لنا أن نخرج ، فنرجع إلي دارنا ، فإنها خارج المدينة ، وحتى همت بنو سلمة بالخوف وفي هؤلاء أنزل الله تعالي: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)([160]) .

---

[158]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣ ص ٢١٨ – ٢١٩.

١٥٩. سورة الأحزاب :الآية (١٠–١١).

[160]. سورة الأحزاب : الآية (١٢–١٣).

وكفى الله المؤمنين القتال فهزم جموع المشركين بوسيلتين لا دخل للمسلمين فيهما أما أولاهما فرجل من المشركين اسمه نعيم بن مسعود أتى رسول الله (صلي الله وعليه وسلم) مسلماً وعرض عليه تنفيذ أي أمر يريده النبي (صلي الله عليه وسلم) ، فقال له: إنما أنت رجل واحد فينا ، ولكن خذل عنا إن استعطت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود ، فأتى بني قريظة ، فأقنعهم وهو يحسبونه لا يزال مشركاً ألا يتورطوا مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن ، كي لا يولوا الأدبار ، فيبقوا وحدهم في المدينة ، دون أي نصير لهم علي محمد وأصحابه ، فقالوا له: إنه للرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فأنبأهم أن بني قريظة قد ندموا علي ما صنعوا وأنهم قد اتفقوا خفية مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي أن يختطفوا عدداً من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ، ليقتلهم ، فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلاً منكم.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل الذي قاله لقريش ، وهكذا تألب بعضهم علي بعض ، واختفت الثقة مما بينهم ، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالغدر والخيانة .

أما الوسيلة الثانية ، فهي ريح هوجاء مخيفة في ليلة مظلمة باردة ، جاءت فقلبت قدروهم واقتلعت خيامهم ، وقطعت أوتادهم ، وذلك بعد

بضعة عشر يوماً من المحاصرة التي ضربها المشركون على المسلمين([١٦١]) .

وأخرج مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) ، قال: لقد رأيتنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد (ردد ذلك رسول الله ثلاثاً) ، ثم قال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم . قال: اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تذعرهم علي. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى في حمام ، حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس ، فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : ولا تذعرهم عليّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا امشي في مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت ، فألبسني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، قال قم يا نومان([١٦٢]) .

ورواه ابن إسحاق بزيادة : فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا نادراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال: يا

---

[١٦١]. فقه السيرة النبوية للبوطي، ص ٣١٧ – ٣١٨.

[١٦٢] مسلم، كتاب المغازي ، باب غزوة الأحزاب، برقم ١٧٨٨، ج٢ ، ص١٤١٤.

معشر قريش لينظر أمرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلي جانبي فقلت له من أنت؟ قال: فلان بن فلان ثم قال ابوسفيان يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والحق ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون... فارتحلوا فإني مرتحل([١٦٣]) .

وفي صباح اليوم الثاني ، كان المشركون كلهم قد ولوا الأدبار ، وعاد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وصحبه إلي المدينة.

أثر الغــزوة في الدعــوة إلي الله تعالي :

١. هي غزوة فاصلة بين مرحلتين: مرحلة الدفاع ، ومرحلة الهجوم ، فهي آخر غزوة وقف فيها موقف الدفاع ، وبعدها تحول إلي مهاجمة عدوه ، عربياً مشركاً كان أو صليبياً أو يهودياً .

٢. هي من أهم المعارك في تاريخ الإسلام ، تمخضت عن تخاذل المشركين ، وأفادت أن أية قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة ، لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به في الأحزاب([١٦٤]) فكيف إن تفرقت وانفرد كل معسكر عن حليفه ، لقد عجزوا عن تحقيق هدفهم مجتمعين ، فهم أشد عجزاً عن ذلك وهم متفرقون ، بل لقد استولى اليأس علي قلوبهم وعلي نفوسهم وهم ينتظرون مصيرهم المحتوم علي يد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) .

---

[١٦٣]. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٣١٣.

[١٦٤]. المرجع السابق، ص٣١٣.

٣. بعد هذه الغزوة بلغت قوة المسلمين قمة نضجها وتعاظمها ، فقد أصبحت المدينة آمنة لا خوف عليه من الأعداء الذين يتربصون بها من الداخل ، نتيجة لذلك تمكن الرسول (صلي الله عليه وسلم) من الانطلاق إلي خارجها والضرب في عمق العدو .

٤. تراجع قريش من الهجوم إلي الدفاع ، وفقدانها القدرة علي تكوين أي حلف جديدة لضرب الرسول (صلي الله عليه وسلم) .

٥. وفقاً لحاجيات الدعوة والدولة الجديدة تنامى داخل هذا المجتمع التماسك الاجتماعي ، والقدرات العسكرية والطاعة التامة للنبي (صلي الله عليه وسلم) .

٦. التواضع الذي أظهره النبي (صلي الله عليه وسلم) في هذه الغزوة ، المتمثل في مشاركته في حفر الخندق ، وهو يكسر الخبز ويصب عليه المرق إلي أصحابه حتى شبعوا ، يعكس لنا أن القائد الحق هو الذي يشارك جنده مشاركة فعالة في السراء والضراء .

٧. تجلى آيات النبوة المحمدية عند حفر الخندق المتمثلة في تفتت الصخرة حتى كانت كثيباً مهيلاً ، وما أعلنه عند كل بارقة برقت ، إذ كان ما اخبره به ما أخبر ، وإطعام المئات بصاع شعير وجدي من الماعز ، مما يزيد من إيمان الصحابة بهذه الدعوة .

٨. جواز خدعة الأعداء والكذب عليهم في الحروب ، كما فعل نعيم بن مسعود ، فما قام به لصالح الدعوة يعجز عنه جيش كامل ، إذ استطاع أن يوجد الفرقة بين الأحزاب .

٩. تبشير النبي (صلي الله عليه وسلم) لأصحابه بالنصر في معركة الأحزاب وغيرها ، مما ساهم في رفع معنويات المقاتلين ، وفي نفس الوقت هو تحديد للرسالة التي يحملونها ، أنها رسالة تحريرية ، ليس تحرير الجزيرة العربية فحسب ، بل تحرير للإنسان فوق كل أرض وتحت كل سماء .

١٠. الموقف القبيح الذي أظهره المنافقون في هذه الغزوة ، يدل علي مرض قلوبهم وضعف نفوسهم ، فنجدهم يتعاطفون ويتعاونون مع كل عدو للإسلام والمسلمين ، بغض النظر عن دينه أو اعتقاده أو عصبيته ، وشغلهم الشاغل الجري وراء الفتنة والسؤال عن أحوال المسلمين ونتائج حروبهم مع أعدائهم ، وهم في كل زمان ومكان كثر قاتلهم الله فاحذروهم.

١١. ينبغي علي المسلم أن يضع نفسه وإمكانياته وقدراته تحت تصرف قيادته كما فعل هؤلاء الفتية مع النبي (صلي الله عليه وسلم) في حفر الخندق ، وكما فعل نعيم بن مسعود وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما) فقد تم توظيفهما لتحقيق المصلحة العامة للجماعة الإسلامية ، والأمة المسلمة .

١٢. إن النصر لا يكون إلا بعد الصبر والابتلاء والكرب ، وليعلم الدعاة أن المصائب بعدها الفرج ، فلابد أن يكثروا من التضرع إلي الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة ، فلقد كان هو العمل

المتكرر الدائم الذي ظل يفزع إليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، كلما لقي عدواً أو سار إلي جهاد .

ثالثاً: غـــزوة بني قـــريظة

فلما كانت الظهر أتي جبريل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، معتجراً بعمامة من استبرق ، علي بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله (عز وجل) يأمرك يا محمد بالمسير إلي بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم([١٦٥]) .

فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مؤذناً ، فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

واستعمل علي المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى الراية علي بن أبي طالب ، فسار علي بن أبي طالب ، حتى إذا أدنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فرجع حتى لقي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالطريق ، فقال: يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله ، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من حصونهم ، قال: يا إخوان

[١٦٥]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج٣ ص٢٣٣.

القردة هل أخذاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً([١٦٦]).

وحاصر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بني قريظة (وهم متحصنون في حصونهم) خمساً وعشرين ليلةً ، وقيل خمسة عشر يوماً ، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقال ابن هشام: كان حيي بن أخطب مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فو الله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون علي دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال: فإذا أبيتم علي هذه ، فهلم فلنقتل أبنائنا ونساءنا ، ثم نخرج إلي محمد وأصحابه رجالاً مسلطين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم ؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد

---

[١٦٦]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج٣ ص ٢٣٤.

أمنونا فيها ، فأنزلنا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً([١٦٧]).

ثم إنهم نزلوا علي حكم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيهم ، وقد كانت بنو قريظة حلفاء للأوس ، فأحب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يكل الحكم عليهم إلي واحد من رؤساء الأوسيين ، فجعل الحكم فيهم إلي سعد بن معاذ ، وكان قد أصيب بسهم في الخندق فكان يداوي في خيمة هناك ، فلما حكمه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في بني قريظة وأرسل إليه بذلك أتى علي حمار فلما دنا من المسجد ، قال للأنصار ، قوموا إلي سيدكم أو خيركم ، ثم قال: إن هؤلاء نزلوا علي حكمك ، قال : تقتل مقاتلهم وتسبى ذريتهم ، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) : قضيت بحكم الله تعالي .

ثم قال سعد (رضي الله عنه) : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك (صلي الله عليه وسلم) وأخرجوه اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها ، واجعل موتي فيها فانفجرت من ليلته ، فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا

---

[١٦٧]. السيرة النبوية، لابن هشام ، ج٣ ، ص٢٣٥ – ٢٣٦.

أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد ينزو جرحه دماً ، فمات منها رضي الله عنه([١٦٨])

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالمدينة في دار بنت الحارث (امرأة من بني النجار) ، ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلي سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه إرسالاً ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إرسالاً: يا كعب ، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)([١٦٩]).

وأسلم في تلك الليلة نفر من قبل النزول ، فحقنوا دماءهم وأموالهم وذراريهم ، وقسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أموال بني قريظة بعد أن أخرج منها الخمس ، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمان للفرس وسهم للفارس ، وأسهم للراجل سهماً واحداً ، وبعث من السبايا إلي نجد ، تحت إشراف سعد بن زيد الأنصاري ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً([١٧٠]) .

---

[١٦٨]. أخرجه البخاري ، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق، برقم ٣٨٩٦ ، ج٤ ، ص١٥١١.

[١٦٩]. السيرة النبوية ، لأبن هشام ، ج٣ص٢٤١.

[١٧٠]. انظر الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٣١٧.

أثـر الغــزوة في الدعــوة إلي الله تعـالي:

١. يجوز للإمام قتال ناقضي العهد ، بسبب من أسباب النقض ، وذلك لقولـه تعـالي: (وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَـانَهُم مِّـن بَعْـدِ عَهْـدِهِمْ وَطَعَنُـواْ فِـي دِيـنِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ)(١٧١) .

٢. بيان وبال عاقبة الغدر والخيانة ، وأنه عائد علي صاحبهما كما قال تعالي: (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)(١٧٢).

٣. الواجـب علـي المسـلمين أن يلتزمـوا بعهـودهم ومـواثيقهم ، لأن الله تعـالي أمـر بـذلك حيـث قـال تعـالي: (يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ أَوْفُـواْ بِالْعُقُودِ)(١٧٣) .

٤. تأكد اليهود من نبوة محمد (صلي الله عليه وسلم) ، فقد ظهر من مجرى كلام كعب بن أسد مع إخوانه اليهود ، أنهم كانوا علي يقين من نبوة محمد (صلي الله عليه وسلم) وعلي اطلاع تام علي ما أثبتته التوراة مـن الحـديث عنـه (صـلي الله عليـه وسـلم) ، وعـن علاماتـه وبعثتـه ، ولكنهم كانوا عبيداً لعصبيتهم وتكبرهم(١٧٤) .

٥. مكانـة سـعد بـن معـاذ عنـد النبـي (صـلي الله عليـه وسـلم) إذ أعطـى النبـي (صـلي الله عليـه وسـلم) لـه صـلاحية الحكـم بمـا شـاء علـي بنـي قريظة ، وموقفه (صلي الله عليه وسلم) الموافق والمؤيد لكل ما سيحكم

---

١٧١. سورة التوبة: الآية(١٢).

١٧٢. سورة الفتح: الآية(١٠).

١٧٣. سورة المائدة :الآية (١).

١٧٤. فقه السيرة النبوية، للبوطي ، ص٣٣٣.

به ، وأمر النبي (صلي الله عليه وسلم) للأنصار بالقيام إليه حينما أقبل إليهم.

٦. دخول عدد من اليهود في الإسلام وفتح الطريق لغيرهم.

٧. مشروعية الاجتهاد في الفروع ، وضرورة وقوع الخلاف فيها ، وفقاً لما وقع من اختلاف بين الصحابة في فهم كلام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة([١٧٥]).

٨. التأييدات الغيبية للنبي (صلي الله عليه وسلم) ودعوته ، تظهر هذه الدعوة قوية متمثلة في مجيء جبريل عليه السلام للنبي (صلي الله عليه وسلم) .

٩. هي المعركة الكبرى والأخيرة التي بها تمت تصفية العنصر اليهودي في المدينة ، وبها تم تطهير تلك البقعة الطيبة من شرور ذلك النوع الخبيث من البشر([١٧٦]) .

رابعـاً: غـــزوة بني لحـــيان

بنو لحيان هم الذين كانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالرجيع ، وتسببوا في إعدامهم ، ولكن لما كانت ديارهم متوغلة في الحجاز إلي حدود مكة ، والثارات الشديدة قائمة بين المسلمين وقريش والأعراب ، لم يكن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يرى أن يتوغل في البلاد بمقربة من العدو الأكبر، فلما تخاذلت الأحزاب، واستوهنت عزائمهم ، واستكانوا للظروف الراهنة إلي حد ما ،

---

[١٧٥]. فقه السيرة النبوية، للبوطي، ص ٣٣٢.

[١٧٦]. من معارك الإسلام الفاصلة، محمد أحمد بشميل، ج٤ ، ص٢١ ، ط٣ (دار الفكر: بيروت) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

رأي أن الوقت قد آن لأن يأخذ من بني لحيان ثأر أصحابه المقتولين بالرجيع ، فخرج إليهم في ربيع الأول أو جمادى الأولى من السنة السادسة في مائتين من أصحابه ، واستخلف علي المدينة أبن أم مكتوم ، وأظهر أنه يريد الشام ، ثم أسرع السير حتى انتهي إلي بطن غران (واد بين أمج وعسفان) حيث كان مصاب أصحابه ، فترحم عليهم ودعا لهم ، وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال ، فلم يقدر منهم علي أحد ، فأقام يومين بأرضهم ، وبعث السرايا ، فلم يقدروا عليهم ، فسار إلي عسفان ، فبعث عشرة فوارس إلي كراع الغميم لتسمع به قريش ، ثم رجع إلي المدينة ، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة([١٧٧]) .

أثر الغــزوة في الدعــوة إلي الله تعالي:

١. اتفق العلماء علي جواز خداع الكفار في الحرب ، وكيف أمكن الخداع ، إلا أن يكون فيه نقض عهد ، أو أمان ، فلا يحل ، وقد صح الحديث جواز الكذب في الحرب المعاريض ، دون حقيقة الكذب ، فإنه لا يحل هذا كلامه والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب ، لكن الاقتصار علي التعريض أفضل([١٧٨]).

٢. أن الحرب يباح فيها ما لا يباح في غيرها ، فيجوز الخداع والكذب والكمين ، والتورية ، ومشروعية المعاقبة بالمثل بقتال وقتل لكل من خان وغدر ، وفقهها يختلف عن فقه غيرها .

---

[١٧٧]. الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ،ص٣٢١-٣٢٢.

[١٧٨]. انظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ج١٢ص ٤٥.

٣. في النزول بساحة العدو ، إظهار لقوة المسلمين الذين أصبحوا في حالة غزو متواصل (هجومي) ، وإرهاب للعدو الذي أصبح ما أن يسمع بمقدم النبي (صلي الله عليه وسلم) وصحبه إلا فر وتارك دياره للمسلمين.

خامسا: غـــزوة ذي قـــرد

ثم قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عيينة بن حصن الفزاري ، في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في اللقاح([١٧٩]) .

وكان أول من علم بهذه الغارة سلمة بن الأكوع السلمي ، إذ خرج يريد الغابة ، فلما علا ثنية الوداع شاهد خيل عيينة من بعد ، فعلا على جبل سلع وصاح: واصباحاه!! واصباحاه!! ثم جرى وراء الخيل الغازية يطاردها ، يرميهم بأنبل ، وهم يخلون عن اللقاح ، ويلقون برماحهم ، وبعض أمتعتهم تخففا ، حتى أفتك منهم أكثر اللقاح ، وتركها وراءه ، وما زال يطاردهم حتى وصلت خيل النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كان أول من أتى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد صيحة سلمة من الفرسان المقداد بن عمرو الكندي ، ثم تتابعوا ، وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأول مرة: (يا خيل الله أركبي)([١٨٠]) .

---

[١٧٩]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص٢٨١ .

[١٨٠]. هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب ، ابو بكر جابر الجزائري،ص٢٦٢ ط٦ (دار السلام: القاهرة) ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م

أثر الغــزوة في الدعــوة إلى الله تعالي :

١. تأكـدت عـداوة عيينــة بـن حصـن للنبـي (صـلى الله عليـه وسـلم) وللإسلام ، وهو ذاك الذي قاد قبائل غطفان ، لحرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة مع الأحزاب ، وها هو اليوم يهاجم المدنية.

٢. تقرير بطولـة وشـجاعة سلمة بـن الأكـوع ، الـذي جـرى وراء الخيـل الغازيـة ، ومـازال يطـاردهم حتـى وصـلت خيـل النبـي (صـلى الله عليـه وسلم) .

٣. إظهار دولة الإسلام قوية لكل من يحب أن ينال من كرامتها وعزتها ، إذ ما سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بالعدو يعد العدة إلا وسارع لضربه في عمق دياره ، مما يؤكد مكانة الغزو في الدعوة إلى الله .

سادساً: غــزوة بني المصـطلق من خــزاعة أو المريســيع

قـال بـن إسـحاق: فأقـام رسـول الله (صـلى الله عليـه وسـلم) بالمدينـة بعض جمـادي الأخـر ورجبـاً ، ثـم غـزا بنـي المصـطلق مـن خزاعـة فـي شعبان سنة ست واستعمل على المدينة أباذر الغفاري[١٨١].

وسببها ما بلـغ النبـي (صـلى الله عليـه وسلم) من أن بنـي المصـطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن ضرار ، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء يقال له(المريسيع) ، فتـزاحم النـاس ، واقتتلـوا ، فهـزم الله بنـي المصـطلق ، وقتـل مـن قتـل

[١٨١] السيرة النبوية ـ لابن هشام ، ج٣ـ ص٢٨٩.

منهم وقسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلين ، للرجال سهم وللفارس سهمان[١٨٢].

قال ابن القيم: وهو وهم ، فإنه لم يكن بينهم قتال ، وإنما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم كما في الصحيح : أغار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على بني المصطلق وهم غارون ، وذكر الحديث[١٨٣]، وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث (سيد القوم) ، وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها ، فأدى عنها رسول (صلى الله عليه وسلم) وتزوجها ، فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة بيت من بني المصطلق قد أسلموا ، وقالوا: أصهار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[١٨٤].

فبينما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بن عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال: أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كليك يأكلك ، أما والله

---

[١٨٢]. الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج٣ ـ ص١٠٦ . وابن هشام ج٣، ص٢٩٠.

[١٨٣]. صحيح البخاري كتاب العتق ، ج١ ـ ص٢٤٥.

[١٨٤]. زاد المعاد ، لابن القيم ، ج٢ ص١١٢ ـ ١٣٣ ـ وابن هشام ، ج ٣ ص٢٨٩.

لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك عند فراغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ، لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرتحل فيها ، فارتحل الناس[١٨٥].

ومشى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى اذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ونزلت سورة المنافقين تصديقاً لقول زين بن أرقم عن عبد الله بن سلول وفيها يقول الله تعالى: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ

[١٨٥]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص٢٩١.

الأَعَـزُّ مِنْهَـا الأَذَل وَلِلـهِ العِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلمُـؤْمِنِينَ وَلَكِـنَّ المُنَـافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)[١٨٦].

وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن رجعوا إلى المدينة ، فقال: (إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه فإن كانت لابد فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني وأني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا)[١٨٧].

عند عودة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه من غزوة بني المصطلق وقريباً من المدينة ، نزل الرسول (صلى الله عليه وسلم) منزلاً ليلاً ثم ارتحل وحدث في ذلك ما حدث ، ولنترك لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صاحبة القصة ترويها لنا بالتفصيل ، كما روى ذلك أصحاب السنن وأهل التفسير.

قالت (رضي الله عنها): كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكان النساء

---

[١٨٦]. سورة المنافقون : الآية(٨)

[١٨٧]. فقه السيرة النبوية ،البوطي ، ص٣٠٠.

إذ ذاك يأكلن العلق[١٨٨]، لم يهجهن[١٨٩]، اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به ، فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سفره ذلك ، وجه قافلا، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي فيه جزع [١٩٠] ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقي ، ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أني فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس ، فلتففت بجلبابي ، ثم أضجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي ، فو الله إني لمضجعه إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وكان تخلف عن المعسكر لحاجته ، فلم يبت مع الناس ، فلما رأى سوادي أقبل ، حتى وقف علي ، فعرفني ، وكان رآني

---

[١٨٨]. العلق: جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . لسان العرب ، ج ١٠ ، ص٢٦٠.

[١٨٩]. لم يهجهن: كالورم في الجسد وذلك لقلة اللحم في أجسامهن ، لقلة الأكل.

[١٩٠]. الجزع: الخرز. وظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء، وينسب إليها الجزع الظفاري.

قبل أن يضرب الحجاب ، فلما راني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا ملتفة في ثيابي ، قال: ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت: فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال: اركبي ، واستدار عني ، فلما نزل الناس ، واطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك في ما قالوا ، فارتج المعسكر ، ولم أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا إلى المدينة ، فاشتكيت شكوى شديدة ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والى أبوي ، ولا يذكران لي منه شيئاً ، إلا أنني أنكرت من رسول الله بعض لطفه ، فكان إذا دخل علي وأمي تمرضني قال: (كيف تيكم) ؟ لا يزيد على ذلك ، فوجدت في نفسي مما رأيت من جفائه ، فاستأذنته في الانتقال إلى أمي ، لتمرضني ، فأذن لي ، وانتقلت ، ولا أعلم بشيء مما كان حتى نقهت[١٩١]، من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

قالت رضي الله عنها : وكنا عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف ، نعافها ونكرهها ، إنما النساء يخرجن كل ليلة ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ، ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب ، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق ، فو الله إنها لتمشي ، إذ عثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها: لعمر الله بئس ما قلت لرجل من المهاجرين ، قد شهد بدراً ، قالت: أو ما بلغك الخبر؟ وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان ، فو الله ما قدرت على أن أقضي حاجتي فرجعت ، فمازلت أبكي

---

[١٩١]. تماثلت للشفاء، مختار الصحاح ، ص٢٨٢.

حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي ، وقلت لأمي : تحدث الناس بها ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟! فقالت لي: يا بنية خفضي عليك ، فو الله قل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرت وكثر الناس عليها .

قالت : وقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: (أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي).

قالت: وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينت بنت جحش كانت عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني[١٩٢] في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله بدينها ، فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة فأشاعت تضارني لأختها فشقيت لذلك .

وتكلم أناس في المسجد ، حتى كادت تكون فتنة ، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فدخل على ، فدعا على بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما في الأمر ، فقال علي (رضي الله عنه) : سل الجارية وهي بريرة فسألها ، وضربها على ، فحلفت وما زالت تحلف

[١٩٢]. أي تساويني وتريد أن تكون في منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح البار ، ج ٧ ، ص٤٢٥.

أنها ما تعلم عن عائشة إلا خيراً ، وأنها ما كانت تعيب عليها شيئاً ، إلا أنها كانت أي بريرة تعجن العجينة ، وتأمر عائشة بحفظها فتنام عنها فتأتي الشاة فتأكلها .

قالت: ثم دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعندي أبواي وامرأة من الأنصار، وأنا أبكي ، وهي تبكي ، فجلس ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: (يا عائشة) وذكرت كلاماً ، وكيف كانت حالها إذ ذاك حتى قالت : فقلت كما قال أبو يوسف : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي ، والله يعلم أني حينئذ بريئة ، وإن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحياً يتلى ، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في أمري ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فو الله ما رام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى انزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه .

قالت فسرى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة: أما الله فقد برأك ، قالت: فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت والله لا أقوم إليه ، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل قالت : وأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ

الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ، لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)[١٩٣] ، ثم أنزل الله هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره : بلي والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١٩٤] قال أبو بكر الصديق : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

---

[١٩٣]. سورة النور: الآيات (١١ــ٢٠) .

[١٩٤]. سورة النور :الآية (٢٢) .

قالت عائشة: وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب : ماذا عملت أو رأيت ؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي بصري ، والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) فعصمها الله بالورع ، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك.

قالت عائشة (رضي الله عنها) : والله أن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فو الذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله .

أثر الغــزوة في الدعــوة إلي الله تعالي :

١. على القادة المسلمين في كل العصور اتباع هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله قبل القتال ، فقد دعا (صلى الله عليه وسلم) بني المصطلق إلى الله تعالى والإسلام ، فلما أبوا قاتلهم.

٢. دخل عدد من هذه القبيلة في الإسلام مما يعد كسباً للدعوة .

٣. أهمية الضربة الأولى في المعركة ، لما لها من أثر على معنويات المقاتلين من الأعداء وإرباكهم ، مما يظهر هذه الدعوة قوية ، خاصة في جهاد الطلب .

٤. كشفت سراً من أسرار تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو أنه لما تزوج جويرية أعتق الناس أسراهم ، وقالوا : أصهار رسول الله .

٥. تدل معالجته (صلى الله عليه وسلم) لفتنة عبد الله بن أبي علي مدى حنكة وعبقرية النبي (صلى الله عليه وسلم) .

٦. كشفت هذه الغزوة الأساليب الدنيئة التي استخدمها المنافقون في حربهم لهذه الدعوة ، وهو الطعن في عرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٧. صار في المسلمين قوة وهيبة تجعل من القبائل الكافرة تحالفهم أو تسالمهم.

٨. تضحية صاحب الدعوة طريق لنشر دعوته ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) سباقا إلى الهيجاء ، وكان في حالة غزو متواصل ، فما فرغ من غزوة حتى استعد للأخرى .

سابعاً: غزوة الحديبية وقصة الصلح

روى الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم (رضي الله عنهما) ، قالا : خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدى ، سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل[١٩٥] ، فكانت كل بدنه عن عشرة .

وخرج ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبست جلود النمور ، يعاهدون الله

---

[١٩٥]. هذه الرواية للإمام أحمد وفي البخاري عن البراء أنهم كانوا أربعة عشر مائة (١٤٠٠) البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية برقم ١٩٣٩ ، ج٤، ص١٥٣٥.

تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قدموا إلى كراع الغميم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ، فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام ، وهم وافرون ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ؟ ، فماذا تظن قريش فو الله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة.

ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريقة تخرجه على ثنية المرار والحديبية في أسفل مكة ، قال فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى مكة .

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما خلأت ، وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال (صلى الله عليه وسلم) للناس: انزلوا قالوا: يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل علي الناس ، فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ،

فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه ، فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن.

فلما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش ، فقالوا: يا معشر قريش إنكم تجعلون على محمد (صلى الله عليه وسلم) إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه ، فأمهلوهم .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري[١٩٦]: وكانت خزاعة نصح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مشركها ومسلمها ، لا يخفون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً كان بمكة .

فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك ، فو الله يدخلها أبداً علينا عنوة ، ولا يتحدث بذلك العرب ، ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص (أحد بني عامر بن لؤي) فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنحو بما تكلم به مع أصحابه ، ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال: هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى ، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده

---

[١٩٦]. هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر الزهري المدني أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز هو من التابعين روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن عمر و سهل بن سعد ولد سنة ٥٠ وروى عنه مالك و الأوزاعي مات سنة ١٢٤هـ وقيل ١٢٥ الأعلام ، ج ١٠٥٧.

، قد أكل أو بارة من طول الحبس عن محلة رجع ، ولم يصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إعظاما لما رأي ، فقال : يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صده الهدى في قلائده ، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله ، قالوا : أجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك ، فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم إلى والد وأنا ولد ، وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئت حتى آسيكم بنفسي ، قالوا: صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومثل بين يديه ، فقال: يا محمد جمعت أو باش الناس ، ثم جئت بهم لبيضتك لنفضها ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ والمطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ، قال وأبو بكر (رضي الله عنه) قاعد خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال أمصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد؟ قال (صلي الله عليه وسلم) : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، ثم أخذ بلحية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والمغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) واقف علي رأس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالحديد قال : فقرع يده ثم قال: أمسك يدك عن لحية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل والله أن لا تصل إليك ،

قال: ويحك ما أفظك وأغلظك ، فتبسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: من هذا يا محمد؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أغدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس([١٩٧]) ، قال : فكلمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمثل ما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، قال: فقام من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد رأي ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إني جئت كسري في ملكه ، وجئت قيصر في ملكه ، والله ما رأيت ملكاً ، قط مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

قال وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعتهم الأحابيش ، حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدعا عمر (رضي الله عنه) ليبعثه إلى مكة ، فقال يا رسول الله أني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

---

[١٩٧]. وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم .

قال فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان (رضي الله عنه) حتى أتى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص ، فنزل عن دابته ، وحمله بين يديه وأردفه خلفه ، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أرسله به ، فقالوا لعثمان (رضي الله عنه) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال واحتبسته قريش عندها ، قال : وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن عثمان (رضي الله عنه) قد قتل قال محمد بن إسحاق : فحدثني الزهري : أن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : أئت محمداً فصالحه ، ولا تلن في صلحه إلا إن عامة هذا ، فو الله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبقى إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أو ليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال

أبو بكر(رضي الله عنه) ، ألزم غرزه حيث كان ، فإني أشهد أنه رسول الله ، فقال عمر (رضي الله عنه) : وأنا أشهد ، ثم أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله أو لسنا مسلمين؟ أو ليسوا بالمشركين؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : بلي قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعين ، ثم قال عمر (رضي الله عنه) : مازلت أصوم ، وأصلي ، وأتصدق ، وأعتق من الذي صنعت ، مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

قال ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أكتب باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال له سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ، ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا أسلاك ولا أغلال ، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب إنه من أحب أن يدخل في عقد محمد (صلى الله عليه وسلم) وعهده دخل فيه ، ومن

أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن في عقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك ، وأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف فبينما رسول (صلى الله عليه وسلم) يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال وقد كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤية رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأي سهيل أبا جندل قام إليه وضرب وجهه ، وقال يا محمد لجت القضية بيني وبنك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فقام إليه فأخذ بتلابيبه ، قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمون أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟ قال : فزاد الناس شراً إلي ما بهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله تعالي جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، فأعطيناهم علي ذلك ، وأعطونا عليه عهداً ، وإنا لن نغدر بهم ، قال ،

فوثب إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فجعل يمشي مع أبي جندل إلي جنبه ، ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدني قائم السيف منه ، قال يقول : رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه .

قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي في الحرم ، وهو مضطرب في الحل ، قال: فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال: يا أيها الناس انحروا واحلقوا ، قال: فما قام أحد ، قال : ثم عاد (صلى الله عليه وسلم) بمثلها فما قام رجل ، فرجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدخل علي أم سلمة (رضي الله عنها) فقال : يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تكلمن منهم إنساناً وأعمد إلي هديك حيث كان فأنحره واحلق ، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يكلم أحداً حتى إذا أتي هديه فنحره ، ثم جلس فحلق ، قال: فقام الناس ينحرون ويحلقون ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة نزلت سورة الفتح .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. هذه الغزوة كانت هي الفتح الحقيقي للمسلمين كما قال البراء (رضي الله عنه) تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن

نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية[١٩٨]، فبعد هذه الغزوة دخل الناس في دين الله أفواجاً ، فبعد هذه الغزوة بسنتين ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى فتح مكة بعشرة الآلف مقاتل كما سيأتي .

٢. أظهرت هذه الغزوة عظمة الإسلام ، بأنه لم ينتشر بالسيف ، كما يروج له أعداؤه ففترة الهدنة كانت أكثر فترة دخل فيها الناس في الإسلام.

٣. هذه الغزوة كانت نقطة تحول من الدفاع إلى الهجوم ، فبعد أن كان المشركون يحاولون مهاجمة الدعوة في مقرها أصبح زمامه المبادرة في أيدي المسلمين ، ولم يحاول الكفار غزو المدينة بعد هذه الغزوة.

٤. ظهر في هذه الغزوة صدق محبة الصحابة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما أدهش الكفار الذين لم يكن لهم عهد بمثل هذه المحبة في قصور الملوك والأكاسرة .

٥. التضحية التي قام بها الصحابة في البيعة تمثل أعلى قمة الوفاء والبذل ، وذلك أنهم كانوا مستعدين لتقديم أرواحهم مهراً لهذه الدعوة المباركة[١٩٩].

٦. أظهرت هذه الغزوة عبقرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك العبقرية المؤيدة بالوحي ، وذلك حين قدم بعض التنازلات على مضض من بعض الصحابة ، تلك التنازلات التي ظهرت ثمرتها فيما بعد .

---

[١٩٨]. أخرجه البخاري كتاب المغازي باب صلح الحديبية ، برقم ٣٩١٩ ، ج٤، ص ١٥٢٥.

[١٩٩]. بعد أن أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان إلى مكة أتاه خبر أن عثمان قد قتل فجمع الناس و وبايعهم بيعة الرضوان أنظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية برقم ٣٩٣٧ ، ج٤، ص١٥٢٩.

٧. أقرت هذه الدعوة مبدأ الصلح بين المسلمين وغيرهم ، وأن هذا المبدأ يقوم على حب الإسلام للسلام ، وأن الحرب قاعدة استثنائية يلجأ إليها عند الضرورة .

٨. تفرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد هذا الصلح لمخاطبة قادة بعض الدول الكبرى ككسرى وقيصر والمقوقس ودعوتهم إلى الإسلام.

٩. أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين أن يختلطوا بالمشركين ، ويسمعونهم حجة الإسلام ، وكانت ثمرته دخول الكثيرين في هذا المجال استجابة لصوت العقل والمنطق .

١٠. استراح المسلمون من الحرب التي لها تبعات مادية ومعنوية ، وإن كانت هذه الحرب في سبيل الله تعالى ، ووجهوا قدراتهم إلى الدعوة السلمية التي نجحت في إظهار جمال الدعوة الإسلامية في ثوبها السلمي.

الفصل الثالث

غزواته من السنة السابعة إلى وفاته

المبحث الأول: غزواته في السنة السابعة من الهجرة

المبحث الثاني: غزواته في السنة الثامنة من الهجرة

المبحث الثالث: غزواته في السنة العاشرة من الهجرة

المبحث الأول

غزواته في السنة السابعة من الهجرة

خاض النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة ثلاثة غزوات وهي:

أولاً: غـــزوة خـــيبر

سار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى خيبر في أواخر المحرم من السنة السابعة من الهجرة .

وكان مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ألف وأربعمائة مقاتل ما بين فارس وراجل .

استعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي ، ودفع الراية إلى علي (كرم الله وجهه) .

قال ابن إسحاق : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك ، وأن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزل خيبر ليلاً ، فبات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، واستقبله عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والجيش قالوا : محمد والخميس معه ، ففروا هربا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الله أكبر ، خرجت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[٢٠٠] .

---

[٢٠٠]. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣، ص٣٢٩.

وقد قام المنافقون يعملون لليهود ، فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله ابن أبي إلى يهود خيبر: إن محمد قصد قصدكم ، وتوجه إليكم ، فخذوا حذركم ، ولا تخافوا منه ، فإن عددكم وعدتكم كثيرة ، وقوم محمد شرذمة قليلون ، عزل لا سلاح معهم إلا القليل .

فلما علم ذلك أهل خيبر أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق هوذا بن قيس إلى غطفان يستمدونهم ، لأنهم كانوا حلفاء ليهود خيبر ومظاهرين لهم على المسلمين ، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر أن هم غلبوا المسلمين[٢٠١] .

ونتيجة لإصرار غطفان و أسد على محاربة المسلمين إلى جانب اليهود أصبح الموقف بالنسبة للمسلمين موقفاً دقيقاً وحرجاً ، إلا أن ذلك لم يفت من عضدهم ، ولم يثنيهم عن عزمهم ، فقد استمروا في تحركهم في اتجاه خيبر واثقين من نصر الله تعالى وقد عدهم بذلك والله لن يخلف وعد ليواجهوا خمسة عشر ألف مقاتل وهم فقط ألف وأربعمائة .

قال ابن إسحاق : بلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على اعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين خيبر[٢٠٢].

---

[٢٠١]. الرحيق المختوم ،لصفي الرحمن مبار كفوري ، ص٣٦٥ .

[٢٠٢]. السيرة النبوية لابن هشام ، ج٣ ص٢٣٠ .

كما سمع الذين مع اليهود في حصونهم صوت نفس الصائح فانسحبوا وتركوا اليهود وحدهم .

فوعظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الناس وفرق بينهم والرايات وابتدأت المعارك بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأهل خيبر وقد تحصنوا بحصونهم واخذ المسلمون يفتحونها حصنا حصناً إلا الحصنين الأخيرين والوطيح والسلالم فقد حاصرهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بضع عشرة ليلة .

روى الإمام أحمد عن بريدة بن الخطيب قال لما كان يوم خبير أخذ أبوبكر اللواء فرجع ولم يفتح له فلما كان الغد أخذها عمر ، فرجع ولم يفتح له ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لأدفعن لوائي غداً إلى رجل يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) ، قال: فبات الناس يدركون ليلتهم ، أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال: (أين علي بن أبي طالب ؟) ، فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال: (فأرسلوا إليه) ، فأتى به فبصق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عينية ، ودعا فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتي يكونوا مثلنا ، أي مسلمين؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ،(ثم ادعهم

إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرك لك من حمر النعم)[٢٠٣] .

ثم خرج فقاتل ، فكان الفتح على يديه ، وغنم المسلمون كل ما في تلك الحصون من الأموال .

أما ذاك الحصنان فقد ظل المسلمون يحاصرونهما ، حتى إذا أيقن من فيه بالهلاك سألوه (صلى الله عليه وسلم) أن يخرجهم ، ويجليهم ، ويحقن دماءهم ، ويتركون له الأموال ، فوافقهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك .

ثم إنهم سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تبقى خيبر تحت أيديهم ، يعملون فيها ، ويزرعونها ، لأنهم أعرف بأراضيهم ، وأعمر لها ، ولهم شطر ما يخرج منها ، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ، وقال لهم : (على أنا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم)[٢٠٤] .

أثر الغـــزوة في الدعـــوة إلي الله تعالي :

١. دخول الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة بعد صلح الحديبية ، وذلك ببداية الحرب الهجومية (جهاد الطلب) ، وتعكس مدي العزة التي وصلت إليها هذه الدعوة.

٢. الحرص علي دعوة الناس إلي الإسلام بقدر المستطاع ، دون الإسراع إلي القتال إلا بعد إكمال المحاولات السلمية .

---

[٢٠٣]. أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٥، ص ٣٥٣.

[٢٠٤]. الحديث أخرجه الإمام أحمد برقم ٢٥٣٤٥، ج٦، ص١٦٢.

٣. جواز الإغارة علي من بلغتهم الدعوة الإسلامية وحقيقتها ، فلم يستجيبوا بدون سابق إنزار أو دعوة مجددة .

٤. التخلص من العدو اليهودي الماكر ، بدك آخر حصونه في الجزيرة ، وبذلك تفرغ النبي (صلي الله عليه وسلم) لقتال العدو خارج الجزيرة العربية وهم الروم .

٥. هذا النصر كان بمثابة ضربة كالصاعقة علي المنافقين والذين ناصروا اليهود ، ورسالة موجهة إلي كل مشركي الجزيرة ، بأنه لا بقاء للكفر في داخل هذه البلاد ، فعليهم أن يدخلوا فيه .

ثانـياً :غـــزوة وادي القـــرى

بعد الفراغ من غزوة خيبر ، ومصالحة أهل فدك برئاسة يوشع بن نون علي النصف من أموالهم وإقرارهم علي العمل فيها كإقرار أهل خيبر ، انصرف إلى وادي القرى ، وكان بها جماعة من اليهود وانضاف إليهم جماعة من العرب فحاصرها عدة ليال ، وافتتحها عنوة ، وأثناء الحصار قتل مدعم عبد لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) : (كلا والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل نارا) ، وكان قد غلها من فيء المسلمين يوم خيبر ، فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) بشراك أو شراكين ، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :(شراك من نار أو شراكان من نار)([٢٠٥]) .

---

[٢٠٥]. اخرجة البخاري كتاب الجهاد باب في الغلول ج ٢ ص٦٠٨.

معاملة أهل خيبر وفدك سواء بسواء ، وبقي الأمر في خيبر وفدك ووادي القرى كما تركه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى عهد عمر (رضي الله عنه) ، ثم نفذ عمر وصيته (صلي الله عليه وسلم) فأجلي اليهود من الجزيرة إلى خارجها ، وطهرت قبة السلام من رجس المشركين وكفر الكافرين من سائر الناس([٢٠٦]) .

أثر الغـــزوة في الدعـــوة إلى الله تعالي :

١. مواصلة النبي (صلي الله عليه وسلم) وصحبه للغزو والفتح يعكس مكانته في سبيل نشر الإسلام ، حتى يكون الدين كله لله .

٢. لابد من القضاء علي جيوب اليهود ، حتى لا تكون لهم دار ، وحتى لا يجتمع دينان في الجزيرة ، وتطهر من رجس المشركين ، وكفر الكافرين.

٣. بهزيمة وادي القرى واستسلام أهل خيبر ثم فدك لم يبد أهل تيماء أي مقاومة ضد المسلمين ، بل بعثوا من تلقاء أنفسهم يعرضون للصلح ، وبه انتهي النبي (صلي الله عليه وسلم) من العدو الثاني وهم اليهود .

٤. تفرغ النبي (صلي الله علية وسلم) لحرب الشام .

---

[٢٠٦]. هذا الحبيب الجزائري ص٢٩٢.

ثالــثاً : عمـــرة القضـــاء

ثم إن النبي (صلي الله عليه وسلم) خرج في ذي العقدة من السنة السابعة قاصداً مكة ، فاعتمر عمر القضاء أمر إن لا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية ، فخرجوا إلا من استشهد ، وخرج معه آخرون ، معتمرين ، فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان ، واستعمل علي المدينة عويف بن الأضبط الديلي([٢٠٧]).

قال ابن إسحاق : فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، فتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة ، قال : فصف له المشركون عند دار الندوة ، لينظروا إليه وإلي أصحابه ، فلما دخل النبي (صلي الله عليه وسلم) المسجد اضطجع بردائه ، واخرج عضده اليمني ، ثم قال : (رحم الله امرءٍ أراهم اليوم من نفسه قوة) ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ومشي حتي يستلم الركن الأسود ، ثم هرول ثلاثة أطواف ، ومشي سائرها ، فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، (أي ليست سنه عامة) وذلك إن النبي (صلي الله عليه وسلم) إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع لزمها فمضت السنة بها وفي هذه العمرة تزوج النبي (صلي الله عليه وسلم) بميمونة بنت الحارث العامرية ، وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) قبل الدخول بمكة قد بعث جعفر ابن أبي طالب

---

[٢٠٧]. السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٧٠ .

بين يديه إلى ميمونة ، فجعلت أمرها إلى عباس ، وكانت أختها أم الفضل تحته ، فزوجها أياه .

ولما مضي من دخوله علية الصلاة والسلام مكة ثلاثة أيام وهي المدة التي قاضي قريشا علي الإقامة بها آتوا علياً (رضي الله عنه) فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضي الأجل ، فخرج (صلي الله عليه وسلم)([٢٠٨]).

أثر الغـــزوة في الدعـــوة إلى الله تعالي :

١.قد كان لمرأى ذلك العدد الكبير من الأنصار والمهاجرين ، وهم محدقدون برسول الله (صلي الله عليه وسلم) في طوافهم وسعيهم وسائر مناسكهم في حماس ونشاط ، له أثر بعيد علي نفوس الكافرين ، فقد دخلتهم الرهبة منهم ، إذ فوجئوا بعكس ما كانوا يتصورونه فيهم من الضعف والخمول .

٢.لقد مهدت هذه العمرة لفتح مكة فتحاً سلمياً ، وذلك للأثر الذي تركته في نفوس المشركين.

[٢٠٨] فقه السير للبوطي ، ص٣٧٨١ .

المبحث الثاني

غـزواته في السـنة الثامـنة من الهجـرة

ولقد خاض النبي (صلي الله عليه وسلم) في تلك الفترة ثلاثة غزوات وهي علي النحو التالي:

أولا : فـــتح مـــكة

كانت في شهر رمضان في سنة ثمان من هجرة النبي (صلي الله عليه وسلم) الي المدينة .

سببها أن أناساً من بني بكر ، كلموا أشراف قريش في أن يعينوهم علي خزاعة بالرجال والسلاح(وخزاعة كانت قد دخلت في عهد المسلمين) ، فأجابتهم إلى ذلك ، وخرج حشد من قريش متنكرين متنقبين ، فيهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص ، فالتقوا مع بني بكر في مكان اسمه الوتير ، وبيتوا خزاعة ليلاً ، وهم مطمئنون آمنون ، فقتلوا منهم عشرين رجلاً ، وعندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة ، فقدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يخبرونه بما أصابهم ، فقام وهو يجر رداءه قائلاً : (لا نصرت إن لم انصر بن كعب ، مما أنصر منه نفسي) ، وقال: (إن هذا السحاب ليستهل بنصر بني كعب)([٢٠٩]) .

[٢٠٩]. انظر سيرة بن هاشم ج٣ ، ص٣٨٠.

وجاء بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخبروه بمن أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم رجعوا إلي مكة .

وكان النبي (صلي الله علية وسلم) قد أخبر أصحابه بما ستفعله قريش إزاء غدرتهم : قال : (كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليجدد العقد ، ويزيد في المدة). وصدقت فراسة النبي (صلي الله علية وسلم) لقد ندمت قريش علي ما بدر منها ، فأرسلت أبا سفيان بن حرب إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) ليجدد الهدنة ويمدها .

وقدم ابوسفيان علي النبي (صلي الله عليه وسلم) ، فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتي عمر ، فكلمة فقال : ما إنا بشافع لكم عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، والله لو لم أجد إلا الذر لجهادتكم به .

وانطلق ابوسفيان عائداً إلي مكة خائباً ، لم يأت بشيء .

وعزم النبي (صلي الله عليه وسلم) علي غزو قريش ، لفتح مكة ، لنقض قريش المعاهدة ، نقضاً واضحاً ، صريحاً ، فتجهز ، وأمر أصحابه بذلك ، وقال :(اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها) .

وأرسل بالقبائل يدعوها لصيام رمضان بالمدينة .

ولقد كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يرجو إن يبغت القوم ، فلا يجدوا له دفعاً ، فيسلموا من غير أن تراق الدماء ، ولما تجهزوا أعلمهم أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد .

وبينما الجيش علي أهبة المسير كتب حاطب بن أبي بلتعة كاتباً أعطاه امرأة من مكة تسمي (سارة) ، وجعل لها جعلاً علي أن تسلمه قريشاً ، وفيه ما أعد محمد لملاقاتهم ، وهذه طبعاً قصة النفس الإنسانية عندما تركن إلى بشريتها ، يصيبها الوهن والضعف ، أنها خاضعة في التفكير في الأمر من زاوية شخصية ، إلا أن الله (سبحانه وتعالي) أخبر نبته بما فعل حاطب ، استجابة لدعوته السابقة ، علي أن يخفي الله أمرهم علي قريش .

فأرسل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب والزبير ابن العوام وراء المرأة ، وأخبرهما بما حصل ، فأسرعا ، وأدركا المرأة في الطريق وأنزلاها ، فالتمسا في رحلها ، فلم يجد شيئا ، فانذرها علي أنها إن لم تخرج الكتاب فسيكشفانها ، فلما رأت منهما الجد قالت : أعرض ، فحلت ذوانب شعرها فأخرجت الكتاب ، فأخذاه ، ورداها إلي المدينة .

ودعا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حاطباً ، وقال له : (ما حملك علي هذا ؟) قال حاطب : يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، وما غيرت وما بدلت ، ولكني كنت أمراً ليس له في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، أردت أن أصانعهم عليهم ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فإنه قد نافق ، فقال

رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع علي أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). وكان حاطب من أصحاب بدر ، وانزل الله تعالي في حاطب فاتحة الممتحنة :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)([٢١٠]) .

وقد وافت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الوفود من قبائل : أسلم ، وغفار ، وأشجع ، وسليم ، ومزينة ، وخزاعة ، إلي أن صار عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل ، خرج بهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان من السنه الثامنة عشر من الهجرة.

وكان اكبر همه أن يدخل البيت الحرام من غير أن تراق قطرة دم واحدة ، واستخلف النبي (صلي الله عليه وسلم) علي المدينة كلثوم بن حسين .

ولم تكن الأنباء قد وصلت قريشاً بعد ، ولكن كانوا يتوقعون أمراً بسبب فشل أبي سفيان بما جاء به إلي المدينة ، فأرسلوا أبا سفيان وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، ليلتمسوا الخبر عن رسول الله (صلي الله عليه

---

[٢١٠]. سورة الممتحنة : الآية ١ .

وسلم) فأقبلوا يسيرون ، حتي دنوا من الظهران (المكان الذي تجمعت فيه قوات المسلمين) فإذا هم بنيران عظيمة ، فبينما هم يتساءلون فيما بينهم عن هذه النيران ، إذ رآهم أناس من حرس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاتوا بهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأسلم ابوسفيان([٢١١]) .

قال العباس : قلت يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال :(نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن) ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) (يا عباس ، أحبسه بمضيق الوادي عند حطم الجبل ، حتي تمر به جنود الله فيراها) ، قال: فخرجتُ حتي حبسته بمضيق الوادي ، قال : ومرت القبائل علي راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة فيقول مالي ولمزينة ، وحتى نفدت القبائل ، حتى مرَ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار (رضي الله عنهم) ، لا يري منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال: قلت :هذا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال: قلت : أنها النبوة قال: فنعم أذن .

---

[٢١١]. لمعرفة قصة اسلامية .انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ص٤٠٣١ .

قال قلت : النجاة إلي قومك ، حتي إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت: أقتلوا الحميت الدسم الأحمس ، قبح من طليعة قوم! قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا: قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلي دورهم وإلي المسجد([٢١٢]).

ودخلت جيوش الإسلام مكة تحمل رايات العزة وأولايه السلام ، والجيش مقسم في نظام بديع ، أظهر عظمة الرسول (صلي الله عليه وسلم) والمسلمين العسكرية ، وكبار قادة المسلمين علي رؤوس الجماعات ، فخالد بن الوليد علي الجناح الأيمن ، ويدخل من أسفل مكة ، والزبير بن العوام علي الجناح الأيسر ويدخل من شمال مكة ، وسعد بن عبادة علي أهل المدينة ، ويدخل من جانبها الغربي ، أما أبوعبيدة بن الجراح فجعله رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي المهاجرين ، وسار وإياهم ليدخلوا مكة من أعلاها في حذاء جبل الهند .

وقد أوصي أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم ، وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً بالخندق ، ليقاتلوا ، فلما وصل المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من

---

[٢١٢]. سيرة بن هاشم ، ج٣، ص٤٠٣-٤٠٥ .

القتال ، فقتل من المشركين نحو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، وقتل من المسلمين كرز بن جابر وحبيش بن خالد بن ربيعة بسبب سلوكهما طريقاً غير طريق خالد الذي سلكة([٢١٣]).

قال بن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين . قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب . فقال: يا رسول الله ، اسمع ما قال عبادة ، ما نأمن إن يكون له في قريش صولة ، فقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعلي ابن أبي طالب : أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت الذي تدخل بها([٢١٤]) .

ودخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مكة شاكراً خاضعاً لله ، رحيماً شفوقاً بقريش .

لقد أعطي الأمان للجميع إلا رجالاً ارتبطت أسماؤهم بقضايا معينة ، ومواقف تستدعي المساءلة ، وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن امية بن خلف ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وعبد الله بن خطل ، والحويرث بن نفيذ بن وهب ، ومقيس بن صبابة ، وعبد الله بن الزبعري ، وهبار بن الأسود ، ومن النسوة : هند بنت عتبة ، وسارة مولاة عمرو بن عبد المطلب ، وقينتا عبد الله بن خطل ، فأسلم من الرجال عكرمة

---

[٢١٣]. هذا الحبيب ، الجزائري ، ص٣١٤ .

[٢١٤]. السيرة النبوية لابن هشام ، ج٣ ص٤٠٠.

وصفوان وعبد الله بن أبي السرح وعبد الله الزبقري وقتل الأربعة الباقون كفراً ومن النساء أسلمت هند بنت عتبة وحسن إسلامها([٢١٥]) .

وتسلم القائد المنتصر مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ، فدخل الكعبة ، وصلي داخلها ، ومعه عثمان ، وبلال ، وأسامة بن زيد ، ثم كرم الرسول (صلي الله عليه وسلم) عثمان بن طلحة إذ ترك له حجابة البيت ، وتوارثه أبناؤه من بعد .

وارتفع صوت بلال من فوق الكعبة بنداء الحق ، وحطمت الأصنام في مكة وحول الكعبة ، والرسول (صلي الله عليه وسلم) ، يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) .

بعد خروج النبي (صلي الله عليه وسلم) من داخل الكعبة ، وكانت قريش قد ملأت المسجد صفوفاً ، ينتظرون ماذا يصنع ؟ فأخذ بعضادتي الباب ، وهم تحته ، فقال: (لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبة العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ

---

[٢١٥]. انظر هذا الحبيب ، الجزائري ، ص٣١٥١

خَبِيرٌ)[٢١٦]. ثم قال: يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وأبن أخٌ كريم ، قال : فاني اقول لكم كما يقول يوسف لإخوانه (لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء)[٢١٧] .

وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعاً ، يا له من نبي! لقد فارقها فراراً بدينه ، وهاجر منها اتقاء لفتنة الظالمين والمستبدين ، وغادرها خائفا يترقب ، محتمياً بالغار ، وها هو يعود إليها اليوم عزيزاً قوياً منصوراً ، تحف به الكتائب وتحيط به الجند من كل جانب: وها هم أولئك الذين اضطهدوه وقهروه وطردوه يقفون منه موقف الخاشع الذليل ، يرجونه العفو والصفح الجميل ، فهل ينتقم ويثار؟ أم يسامح ويعذر ، لابد وأن يكون كما قال فيه الله تعالي (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٢١٨] .

وحين حقق الله هذا النصر تبين لأهل مكة الحق ، وعلموا أن لا سبيل إلي النجاح إلا الإسلام ، فأذعنوا له ، واجتمعوا للبيعة ، فبايعوه علي السمع والطاعة فيما استطاعوا ، وبايعته النساء علي أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان ، ولا يعصين رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في معروف .

وأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بمكة تسعة عشر يوماً ، يجدد معالم الإسلام ، ويرشد الناس إلي الهدي والتقي ، وخلال هذه الأيام أمر

---

[٢١٦] سورة الحجرات : الآية ١٣ .

[٢١٧] الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص٤٠٤

[٢١٨]. سورة القلم: الآية (٤) .

أبا أسيد الخزاعي ، فجدد أنصاب الحرم ، وبث سراياه للدعوة إلي الإسلام ، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة ، فكسرت كلها ، ونادي مناديه بمكة :(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع بينة صنماً إلا كسرة)([٢١٩]).

أثر الغـزوة في الدعــوة الي الله تعالي :

١. هي المعركة الفاصلة الفتح الأعظم الذي قضي علي كيان الوثنية قضاء باتاً ، لم يترك لبقائها مجالاً ولا مبرراً في ربوع الجزيرة العربية ، فقد كانت عامة القبائل تنتظر ماذا يتمخض عنه العراك والاصطدام الذي كان دائراً بين المسلمين ، والوثنين ، وكانت تلك القبائل تعرف جيداً أن الحرم لا يسيطر عليه إلا من كان علي الحق ، وكان قد تأكد لديهم هذا الاعتقاد الجازم ، أي تأكد قبل نصف القرن ، حين قصد أصحاب الفيل هذا البيت ، فأهلكوا ، وجعلوا ، وجعلوا كعصف مأكول([٢٢٠]).

٢. بعد الفتح قال العرب: لا طاقة لكم بمحمد ، فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أفواجاً، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً واثنين اثنين ، فأظهرت جميع القبائل دخولها في الإسلام .

٣. صلح الحديبية كان يمثل المقدمة لهذا الفتح العظيم ، أمن الناس به وكلم بعضهم بعضاً ، وكل من كان يخفي إسلامه أظهره ودعا إليه ، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام ، حتي أن عدد الجيش الإسلامي

---

[٢١٩]. الرحيق المختوم ، ص٤٠٩ .

[٢٢٠]. الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري، ص٤١١ .

كان قبل هذا الصلح ألف وأربعمائة إذ هو في هذه الغزوة عشرة ألاف مقاتل .

٤. وبهذا الفتح سيطر النبي (صلي الله عليه وسلم) علي كل جزيرة العرب ، سيطرة كاملة محكمة ، من كل النواحي ، السياسية ، والدينية ، والاقتصادية ، وأزال العقبات التي كانت تقف في وجه الدعوة الإسلامية ، ولم يبق لأقوام العرب إلا أن يغدوا إلي النبي (صلي الله عليه وسلم) فيعتنقوا الإسلام ، ويحملوا دعوته إلي أهل الأرض قاطبة ، في ظل حكومة العدل الإلهي.

٥. إن تحطيم الأصنام يوم الفتح نزع من نفوس المشركين الاعتقاد بقدسيتها وفائدتها ، فكان سبباً قوياً لتطهير الجزيرة كلها من عبادة الأوثان.

٦. لقد كانت معنويات المسلمين ظاهرة بشكل جلي ، وهذا راجع لمكانه مكة كبلد مقدس في نفوسهم ، علاوة علي كونها بلد المهاجرين الذين أخرجوا منها قسراً ، يعكس معنويات قريش المنهارة ، لدرجة لم يستطيعوا معها المواجهة ، واستسلموا دون أي مقاومة ، وكان هذا حافزاً لتطهير أطراف مكة من الأوثان ، ودعوتهم إلي الدخول في الإسلام .

ثانياً : غـــزوة حـــنين

وقد كانت هذه الغزوة ، في شوال سنة ثمان من هجرة النبي (صلي الله عليه وسلم) .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصري ، فاجتمع بكر وناس من بني هلال ، وجمع أمرهم مالك بن عوف (سيد هوازن) ، فلما أجمع السير إلي النبي (صلي الله عليه وسلم) حمل مع الناس أموالهم ونساءهم وابناءهم ، حتي نزلوا بأطاوس ، وإنما أمرهم بذلك حتي يجد كل منهم مايحبسة عن الفرار ، وهو الدفاع عن الأهل والمال والولد.

وأجمعوا المسير إلي النبي (صلي الله عليه وسلم) ، فخرج اليهم النبي (صلي الله عليه وسلم) لست ليال خلون من شوال ، في أثني عشر ألفاً من أهل مكة ، واستعمل النبي (صلي الله عليه وسلم) عتاب بن أسيد علي مكة أميراً علي من تخلف عنه من الناس .

قال الحارث بن مالك : خرجنا مع النبي (صلي الله عليه وسلم) إلي حنين ، ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال: فسرنا معه إلي حنين ، قال : وكان كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها : أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات

الطريق : يا رسول الله ، أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسي لموسي : اجعل لنا إلاها كما لهم إلهه ، إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم)([٢٢١]) .

وعلم مالك بن عوف بمقدم النبي (صلي الله عليه وسلم) ، فعبأ أصحابه في وادي حنين ، وانتشروا يكمنون في أنحائه ، وأوعز إليهم أن يحملوا علي محمد النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه ، حملة واحدة([٢٢٢]) .

انتهي الجيش الإسلامي إلي حنين ، وقد بني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خطة المسلمين علي مفاجأة العدو مع أول ضوء ، بينما تكون قوات المشركين في النوم ، ووزع قواته ، وتقدم المسلمون حسب الخطة ، مع أول ضوء إلي مضيق وادي حنين ، فأمطرهم المشركون بوابل من النبل ، فارتبك المسلمون ، نتيجة المفاجأة ، وسيطر عليهم الخوف ، فشد عليهم المشركون شدة رجل واحد ففر المسلمون ، ولم يبق في ميدان المعركة سوي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ونفر قليل ، وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يردد : (هلموا إلي أيها الناس ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله) ، وهنا ظهرت شجاعته التي لا

---

[٢٢١]. سيرة ابن هاشم ج٣ ص٤٤٠١

[٢٢٢]. فقه السيرة ، للبوطي ، ص٤١٧

نظير لها ، فقد طفق يركز بغلته قبل الكفار ، وهو يقول :(أنا النبي لا كذب ،أنا ابن عبدالمطلب)([٢٢٣]) .

وأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عمه العباس بالمسلمين ، حيث كان جهير الصوت ، قال: العباس : فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة ؟ قال : فو الله لكأني عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علي أولادها ، فقالوا: يا لبيك ، يا لبيك([٢٢٤]) .

بعد التراجع الواضح من قبل المسلمين ، ترك المشركون مواقعهم في المرتفعات لمطاردة المسلمين ، وللضغط علي الرسول (صلي الله عليه وسلم) ومن ثبت معه ، ولكن بنداء العباس صار عدد المسلمين يتزايد حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فبدأوا الهجوم المضاد ، بقوة ، فبدأ يتحرك ميزان المعركة لصالح المسلمين ، مما زاد المسلمين ثقة بأنفسهم ، فزادوا الضغط على المشركين ، لدرجة لم يستطع المشركون صدها ، فبدأ انسحابهم من موقع المعركة ، تاركين النساء ، والأطفال ، والأموال .

فشد المسلمون عليهم ، فتحول انسحابهم إلى هزيمة ، فتمزق جمع المشركين ، فاتجه بعضهم إلى الطائف ، وبعضهم إلى أوطاس ، فطارد المسلمون فلولهم.

---

[٢٢٣]. سيرة ابن هشام ،ج٣ص٤٤٠ .

[٢٢٤]. صحيح مسلم ج٥ ص١٦٦-١٦٧١.

وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن من قتل قتيلاً فله سلبه ، لتشجيع المسلمين على المطاردة ، فوصلت المطاردة إلى أوطاس ، وألحقوا بالمشركين خسائر كبيرة ، وفتحوا أوطاس.

كما طاردوا القسم الأخر إلى نخلة ، وقضوا على المشركين ، وأسروا عدداً كبيراً منهم ، وطاردوا المجموعة التي اتجهت إلى الطائف ، حتى تحصنوا بمدينة الطائف الحصينة وغنم المسلمون غنائم كثيرة[٢٢٥] .

أثر الغـزوة في الدعـوة إلى الله تعالي :

١. القضاء على شوكة من تبقى من المشركين المعاندين والمحاربين ، ليصفو لقبائل الجزيرة العربية ومجتمعها جو التدبر، والتفكير السليم له ، ومعرفة أن الباطل في الجاهلية والاجتناب عنه .

٢. هزيمة هذه القبيلة القوية الشرسة ، المتغطرسة والحاقها بقريش نهاية لآخر معاقل الوثنية في جزيرة العرب ، ورسالة أخيرة إلى جميع القبائل العربية داخل الجزيرة ، فعليها أن تسارع إلى الانضمام لهذا الدين ، الذي أصبح هو السائد.

٣. فإذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئاً في جنب كثرة أعدائهم ، إذا كانوا صابرين ومتقين ، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذ لم يكونوا صابرين ومتقين .

---

[٢٢٥]. السيرة النبوية لابن هشام ، ج٣ ص ٤٥٠ .

ثالــثاً: غــزوة الطـــائف

بعد الفتح ، والنصر على هوازن وثقيف بحنين وأوطاس ، قد لاذت ثقيف ومن معها بالطائف ، حيث تحصنوا به ، وجمعوا فيه ما يحتاجون إليه إن طال الحصار بهم .

ثم سار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فسلك على نحلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحــرة الرغاء من ليه[٢٢٦] ، فأبنى بها مسجداً ، فصلى فيه ، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوا دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، ويقال سبع عشرة ليلة[٢٢٧] .

ونصب النبي (صلى الله عليه وسلم) المنجنيق على أهل الطائف ، وقذف به القذائف ، حتى وقعت شدخة في جدار الحصن ، فدخل نفر من المسلمين تحت دبابة ، ودخلوا بها إلى الجدار ليحرقوه ، فأرسل عليهم العدو سلك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرموهم بالنبل وقتلوا منهم رجالاً وأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كجزء من سياسة الحرب لإجلاء العدو إلى الاستسلام ، أمر بقطع الأعناب

---

[٢٢٦]. قرن، وملح وبحرة الرغاء ، وليلة : مواضع بالطائف.

[٢٢٧]. السيرة النبوية: لابن هشام ج٣ – ٤٨٢.

وتحريقها ، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً ، فسألته ثقيف أن يدعها لله والرحم ، فتركها لله والرحم[٢٢٨] .

ونزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إقامته حين كان محاصراً للطائف عبيد ، فأسلموا ، فأعقلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٢٢٩] .

قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله (صلى أله عليه وسلم) قال لأبي بكر الصديق ، وهو محاصر ثقيفاً (يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قبعة[٢٣٠]مملوءة زبداً ، فنقرها ديك ، فهراق ما فيها) . فقال أبوبكر: (ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد): فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (وأنا لا أرى ذلك).

ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية ـ وهي امرأة عثمان ـ ، قالت: يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن مظعون ، أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم) : (وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟) فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فقال: يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته :؟ قال (قد قلته)، قال : أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : (لا) ، قال : أفلا أوذن بالرحيل؟

---

[٢٢٨]. الرحيق المختوم ، المبارك كفوري ، ص٢١٨.

[٢٢٩]. ابن هشام ج٣ ص٤٨٥.

[٢٣٠]. القيعة : القدح .

قال (بلى) ، قال : فأذن عمر بالرحيل ، فجميع من استشهد بالطائف من أصحابه أثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث[٢٣١].

ولما ارتحلوا ، واستقلوا ، قال : (آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون) وقيل: يا رسول الله ادع ثقيف، فقال: (اللهم اهد ثقيفا وآت بهم).

ولما عاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد رفع حصار الطائف ، مكث بالجعرانة بضع عشرة ليلة ليقسم غنائم حنين ، ثم أعطي المؤلفة قلوبهم (وهم أشراف الناس) يتألفهم على الإسلام ، ولما أعطي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أعطي من أموال لقبائل قريش وهوازن وتميم ، حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله (صلي عليه وسلم) ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال : فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ، قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون ، فردهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من

---

[٢٣١] ابن هشام ج٣ ص٤٨٤ – ٤٨٦.

الأنصار ، فأتاهم رسول الله (صلى الله عليه سلم) ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: (يا معشر الأنصار ما مقاله : لغتني عنكم ، جدة وجدتموها على في أنفسكم؟ ، ألم آتكم ضلالاً فهداهم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء ، فألف الله بين قلوبكم؟)، قالوا: بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال: (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟)، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل ، قال (صلى الله عليه وسلم): (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ، ليسلموا ، ووكلتم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الانصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحاكم؟ فو الذي نفس محمد بيده ، لو لا الهجرة لكنت أمرءً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت بشعب الانصار ، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار) .

قال: فبكى القوم، حتى أخضلوا لحاهم، قالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٢٣٢] .

ولما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قسمة الغنائم أهل معتمراً ، فأدى العمرة ، فأدى العمرة ، وانصرف بعد ذلك راجعاً إلى المدينة ، بعد أن

---

[٢٣٢]. الحديث أحرجه البخاري كتاب المغازي باب غزوة الطائف ج٧ ص ٤٣٣٧ مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ج٢ ص٧٣٥.

ولي على مكة عتاب بن أسيد ، وكان رجوعه إلى المدينة لست ليال بقيت من ذي القعدة سنة ٨هـ[٢٣٣].

أثر الغــزوة في الدعــوة إلى الله تعالي:

١. رأت ثقيف أن العرب قد دخلوا في طاعة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأنهم وحدهم الباقون على عدائه ، ولا قبل لهم به ، ولا بحرب من حولهم من العرب الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأسلموا .

٢. ولم يطل بقاء تثقيف على شركها ، فما هي إلا شهور قلائل ، حتى أرسلوا وفدهم إلى المدينة يخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) برغبتهم في الإسلام وانفتاح قلوبهم له.

٣. إسلام قبيلة هوازن .

٤. إعطاء النبي (صلى الله عليه وسلم) للمؤلفة قلوبهم جزءاً كبيراً من الغنيمة ، لأن الإسلام أو الشريعة توجب تأليف قلوب من لهم قومهم منزلة ، وليس لهم في الإسلام جهاد ، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، وقد أكلتهم الضغينة ، وقبل الجهاد والمجاهدون من قتل منهم ، ويريد تأليفهم إلى الإسلام ، ونسيان الإحن ، فأعطي أبا سفيان وأولاده ، وأعطي الأقرع بن حابس وغيره[٢٣٤].

٥. وبعد الرجوع من هذا السفر الطويل الناجح ، أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة يستقبل الوفود ، ويبعث العمال ، ويبث الدعاة

---

[٢٣٣] الرحيق المختوم ، المبار كفوري ص٤٢٢.

[٢٣٤]. خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة ، ج٣ ص٢٣٩ .

ويكبت من بقى فيه الاستكبار عن الدخول في دين الله ، والاستسلام للأمر الواقع الذي شاهدته العرب[٢٣٥].

٦. بسط سلطة حكومة العدل الإلهي على جميع مجتمع الجزيرة العربية ، وغرس شعور العزة بالانتماء إلى الإسلام ، وطي عهد الجاهلية الباطل ، وتوجيههم وتعبئتهم معنوياً وعسكرياً لحماية ثغورهم ، ورد العدوان الخارجي المتربص بهم ، والذي يهدد دولتهم وبلادهم الإسلامية ، من الفرس والروم والقبط .

[٢٣٥]. الرحيق المختوم ، المبارك فوري ، ٤٢٤ .

المبحث الثالث

غزواته في السنة العاشرة من الهجرة

خاض النبي (صلى الله عليه وسلم) في تلك الفترة غزوة واحدة ، وهي:

غـــــــزوة تبـــــــوك

غزوة تبوك تعتبر من أعظم مغازي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك لصعوبة الظرف الذي وقعت فيه ، إذ هو ظرف جدب ، ومجاعة ، وشدة حر ، وبعد مكان ، وشقة ، وكثرة عدو ، وقوة ، ولم يكن هناك نفير عام في غزوة غير هذه ، ولم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليحدد اتجاهه في غزوة من الغزوات إلا في هذه .

وسببها أنه بلغ المسلمين من الأنباط الذين كانوا يتنقلون بين الشام والمدينة للتجارة أن الروم قد جمعت جموعاً ، وجلبت إلى جانبها لخم وجزام وغيرهم من نصارى العرب الذين كانوا تحت إمرة الروم ، ووصلت طلائعهم إلى البلقاء.

فندب النبي (صلى الله عليه وسلم) الناس إلى الخروج ، وروى أن جيش الروم كان قوامه أربعين ألف مقاتل([٢٣٦]) .

قال ابن هشام : ثم أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد

---

[٢٣٦]. انظر طبقات ابن سعد ج٣ ص ٢١٨ ، وفتح الباري ج٨ ص ٨٧.

، وشكّاً في الحق ، وإرجافاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم :(فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)(٢٣٧) ، وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبطون الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي (صلى الله عليه وسلم) طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا ثم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جدَّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها فقال (صلى الله عليه وسلم) : اللهم أرض عن عثمان، فإني عنه راض. ثم جاء أهل الحاجة ، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، وجاءه المعذَّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وهنالك نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن

---

٢٣٧. سورة التوبة : الآيتان (٨١ – ٨٢).

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ، ولا ارتياب ، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم(٢٣٨) .

ثم تحرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحو الشمال يريد تبوك ، ومعه ثلاثون ألف مقاتل ، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط ، فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزاً كاملاً ، بل كانت في الجيش قلة شديدة، بالنسبة للزاد والمراكب ، فكان ثمانية عشر رجلاً يركبون بعيراً واحداً ، وربما أكلوا أوراق الأشجار ، حتى تورمت شفاههم ، واضطروا إلى ذبح البعير مع قلتها ليشربوا ما في كرشه من الماء ، لذلك سمى هذا الجيش جيش العسرة .

واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري ، وقيل سباع بن عرفطة ، وخلف على أهله علي بن أبي طالب .

ولما انتهوا إلى تبوك ، لم يجدوا هنالك كيداً ، ولا قتالاً ، فقد اختفى وتفرق أولئك الذين كانوا قد تجمعوا للقتال ، ثم أتاه يوحنا حاكم (أيلة) ، فصالح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأدرج ، فأعطوه أيضاً الجزية ، وكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك لهم كتاباً(٢٣٩) .

عن ابن عمر قال : لما مر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالحجر(وهي منازل ثمود) ، قال : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا

---

٢٣٨. سيرة ابن هشام ج٣ ، ص ٦١٥ – ٦١٩.

٢٣٩. فقه السيرة النبوية ، للبوطي ص ٤٣٦.

أنفسهم ، أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين) ثم قنع رأسه وأسرع بالمسير حتى جاز الوادي(٢٤٠) .

ومن معجزاته (صلى الله عليه وسلم) ، ولما اشتدت في الطريق حاجة الجيش إلى الماء ، شكوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت ، حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجاتهم من الماء .

ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قفل راجعاً إلى المدينة ، فلما أشرفوا على المدينة قال (صلي الله عليه وسلم) لأصحابه : (هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) ، وقال لأصحابه : (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قيل : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر)(٢٤١) .

وقدم المدينة (صلى الله عليه وسلم) في رمضان من السنة نفسها ، فيكون قد غاب قرابة شهرين .

أثر الغزوة في الدعوة إلى الله تعالي :

١. كانت هذه الغزوة مباركة ، كانت الدعوة إلى الإسلام هي لبها وغايتها ، ونهايتها ، فقد نشر الإسلام بها في شمال البلاد العربية ، واستأنس به العرب في هذه الأقاليم ، وأخذ يسري نوره في الشام ذاته ، مما كان تمهيداً لجيوش

---

[٢٤٠]. صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ج٢ ص ٦٣٧.

[٢٤١]. صحيح البخاري كتاب المغازي ، ج٥ ص ١٣٦.

المسلمين لفتحه ، حتى تكون المواقع من مواجهة بين الإسلام والرومان ، والعرب ، ومنهم عرب الشام ، إذ غزوا باسم الإسلام([٢٤٢]) .

٢. كان لها عظيم الأثر في بسط نفوذ المسلمين ، وتقويته على جزيرة العرب ، فقد تبين للناس أنه ليس لقوة من القوات أن تعيش في بلاد العرب سوى قوة الإسلام ، وبطلت بقايا أمل وأمنية كانت تتحرك في قلوب بقايا الجاهليين والمنافقين الذين كانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين ، وكانوا قد عقدوا آمالهم بالرومان ، فقد استكانوا بهذه الغزوة ، واستسلموا للأمر الواقع ، الذي لم يجدوا عنه محيداً ولا مناصاً ، وأنزل الله فيهم آيات افتضحوا بها افتضاحاً تاماً ، لم يبق في معرفتهم بعدها أي خفاء ، كأن الآيات قد نصت على أسمائهم لمن يسكن بالمدينة .

٣. لقد توافدت الوفود على النبي (صلى الله عليه وسلم) معلنة إسلامها بعد غزوة فتح مكة ، بل وما قبلها ، خاصة بعد صلح الحديبية ، إلا أن تتابع الوفود وتكاثرها بلغ إلى القمة بعد هذه الغزوة .

٤. أنتصر الإيمان على الكفر ، وتغلب صوت الحق على أدعياء الباطل ، وعلت العقيدة الصافية على النفاق ، وأعطى الروم بكثرتهم ، وعدتهم ، ومهابتهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، للفئة القليلة المؤمنة ، لأن النصر من الله ينصر أولياءه ، ويمكنهم بدينهم الحق ، ليستخلفهم في الأرض.

٥. في هذه الغزوة برزت معجزات عديدة يثبت الله بها إيمان الصادقين ، ويقوي معها يقين المخلصين في نواياهم ، وحسن اتباعهم ، وتقوم الحجة

---

[٢٤٢]. خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة ، ج٣ ص٢٧١.

علـى المنـافقين الـذين يرجفـون فـي المجتمـع المـدني ، ويسـعون بكـل قـدراتهم ليخلخلوا قاعدة الإيمان من النفوس ، بالتشكيك في الحق الذي جاء بـه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عند الله طاهراً نقياً ، لا شبهة فيه.

الخـــاتمة

فقد اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، ثم التوصيات وهي:

١. إن الابـتلاء سـنة ربانيـة([٢٤٣]) فـي طريـق الـدعوة إلـى الله ، وإن النجاح فيه وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله .

٢. الأثر الدعوي الذي أحدثته غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) أكبر من أن يكون بحثاً أو رسالة واحدة ، لأنه لا يمكن أن نحيط أو نستقصي هذا الأثر الكبير .

٣. طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمخاطر ، والأشواك ، والنجاح في تجاوزها وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله .

٤. غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) في جملتها الهدف الأساسي منها هو نشر الإسلام ، وتأمين حركة الدعاة ، وذلك عن طريق إزالـة العقبـات التـي تقـف فـي طريقهـا ، المتمثلـة فـي الطواغيـت الذين يقفون ضد الدعوة ، ولم يتركوا الرعية ليسمعوا كلام الله .

٥. إن الجهـاد الإسـلامي لـيس موجهـاً ضـد الأفـراد بـأعينهم ، ولا لإجبـار أحـد علـى اعتنـاق الإسـلام ، وإنمـا هـو قتـال للأنظمـة السياسية ، والاجتماعية ، التي تقوم على أساس العبودية للبشر بـالتزام منـاهجهم ، وتطبيـق أحكـامهم ، وهـو قتـال موجـه ضـد القـائمين علـى تلـك الأنظمـة ، وضـد وسـائلهم ومؤسسـاتهم ،

---

[٢٤٣]. السنن الربانية لابد من حدوثها ولا نختلف ، فهل كل الدعوات بدون استثناء كان فيها ابتلاء .. الماضية واللاحقة على يوم القيامة ! !

المسخرة لحماية تلك الأنظمة ، وأما الأفراد فالمقاتلون المسلمون لا يتعرضون لهم إلا بقدر ما يسهمون به في المدافعة عن تلك الأنظمة.

٦. شرع القتال في الإسلام لتحرير العباد من الضغوط ، وأنواع الإكراه التي تمنعهم من اختيار عقائدهم بحرية ، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بتحطيم مراكز القوى الكافرة ، التي هي مصدر تلك الضغوط أو مصدر حماتيها.

٧. الذين يحصرون الجهاد في الحرب الدفاعية يحصرون الدعوة الإسلامية في بقعة من الأرض ، وكأن مقصد الله من إنزال رسالة الإسلام هداية أناس بعينهم دون غيرهم ، وتخليص اناس بعينهم من الظلم ، وعدم الالتفات إلى بقية العباد .

٨. إن موضوع الجهاد في الإسلام هو الإنسانية كلها ، في كل زمان ومكان ، إن هذا النوع الإنساني كله يجب أن يستقيم على الفطرة التي فطر الناس عليها وهي عبادته وحده([٢٤٤]) سبحانه والتحرر من كل معبود ، ومن كل طاغوت ، وممن كل باطل ، لأنه لا يحيا حياته الإنسانية الكريمة إلا إذا تحرر من كل هذا([٢٤٥]) .

٩. الحكام الذين يحكمون الناس بغير ما أنزل الله هم الذين يحاربون الإسلام ، ويضعون أمام دعوته المعوقات ، والعراقيل ،

---

[٢٤٤]. لو أن الله خلقهم وفطرهم جبلة وخلقه على عبادته لما كفر أحد ! !

[٢٤٥]. الفطرة هي القابلية ولكن الناس بعضهم على باطل وبعضهم عبدوا الطواغيت.

ويضطهدون الدعاة ، ويحظرون كل توجه سياسي إسلامي ، يرون فيه خطراً على سلطانهم ، وتحكمهم في البلاد والعباد .

١٠. الجهاد في سبيل الله هو مصدر عزة الأمة المسلمة على مر الأيام ، وهو أساس تقوم به الدعوة ، بل لا تنجح إلا به ، ولا يتخلى عنه إلا من فتن عن دينه ودعوته .

١١. لقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يكون التعاون متكاملاً بين المسلمين جميعاً ، وخاصة في أمور الحرب ، فلم يكن عليه السلام يضع خطة بمفرده ، ولم يستبد برأي معين ، بل كان يطرح الأمر شورى بين الناس ، كل يدلي بدلوه ويعرض وجهة نظره ، وكانت الآراء تناقش بروح الأخوة الإسلامية .

١٢. ثبت أن اليهود لا يحترمون العهود والمواثيق ، ولا يعرفونها ، ويشهد على ذلك نقضهم لكل عهودهم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الإطلاق.

١٣. لقد عكست هذه الغزوات أهم مطلوبات الدعوة ، وهي إن يضحى الإنسان في سبيلها بكل ما هو مطلوب ، إذ هذه التضحية هي المعيار الدقيق لصدق التوجه إلى الله ، وإلى العمل من أجل دعوته ودينه([٢٤٦]) .

١٤. إن تفشي الباطل وهيمنته وتعذيبه للمؤمنين ، وفتنتهم عن دينهم يكون عند فقد الجهاد والقوة الرادعة لقوى الشر والطغيان،

---

[٢٤٦]. في ص ١٣ قلت : الدعوة هي الإسلام ! ! وهنا جعلت الدعوة شيء والدين شيء وهو الصحيح.

وأوضح مثال العهد المكي في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا العصر الحاضر.

١٥. الوفاء بالمعاهدات واحد في الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما ، والإسلام في هذا المجال يطالب المؤمنين بالمحافظة عليهما ، ويتوعد في ذات الوقت المخالفين الناقضين لعهودهم ومواثيقهم بأشد الوعيد .

١٦. من أدب الحرب في الإسلام ، الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء ، وحصر الحرب على الجيش المحارب ، فلا يجوز التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان ، وكل من كف عن القتال ، واحتمى بداره ، وتحريم التمثيل بالقتلى والإحراق بالنار ، وإتلاف الأموال ، وتجويع الأعداء ، وضرب فيها أروع الأمثلة .

١٧. ضرورة إعلان الحرب من جانب المسلمين قبل البدء في أي قتال ، رغبة في أن لا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة من جانب المسلمين.

١٨. الغنائم ليست هدفاً من أهداف الحرب ، ولا يجوز أن تجعل كذلك ، ولا يجوز التشدد مع الناس لهذا القصد ، وقد حرم القتال بغية الحصول على غنائم أو مكاسب دنيوية أخرى .

١٩. للجهاد الإسلامي مراحل يسلم بعضها إلى بعض ، وآخر هذه المراحل قتال الكفار كافة ، حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويخضعوا لحكم الإسلام.

٢٠. إن الإسلام يفتح باب الرحمة للمقاتلين من الأعداء وزعمائهم ، ولا يحصر مصيرهم في القتل ، بل يقبل منهم التنازل عن مراكز التسلط التي جعلوا أنفسهم فيها ، ويحفظ لهم دماؤهم وأموالهم إذا كفوا عن الإمساك بخناق العباد ، ويشملهم كغيرهم بعدله ورحمته.

٢١. أكثر ما يخيف الكفار عقيدة الجهاد ، ومن أجل ذلك يحاربونها بكل وسائلهم ، وينادون بتغيير المناهج حتى تواكب رغباتهم وتطلعاتهم.

٢٢. إن استمرار الجهاد في سبيل الله ضرورة تمليها على المسلمين ظروف أعدائهم المستمرين في عداء الإسلام والمسلمين ، ولذلك كانت الغاية التي توقف عنها الجهاد هي يوم القيامة.

ثانياً : التوصيات .

يوصي المؤلف بالتوصيات التالية :

١. يُوصي المؤلف علماء الأمة الإسلامية ، والكتاب والمؤلفين والدارسين أن يعِّرفوا الناس بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ، بكل أنواعها ، خاصة التي تحد من انتشار الإسلام ، وأن يعملوا على إحياء سنة الجهاد في كل مكان وزمان .

٢. يُوصي المؤلف الدعاة إلى الله أن يثبتوا أمام العقبات التي تقف أمامهم ، ولا يهولنهم هذا الباطل وأهله وقضه وقضيضه ، فإنه ما دام باطلاً فإن دولته ساعة ، المهم أن يثبتوا على الحق ، وأن

يستعينوا بالله ويصبروا، ويوقنوا بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

٣. يُوصي المؤلف الجماعات الإسلامية باتباع ما نهج النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي تراه أمثل لأن كل جماعة تدعى أنها على ذلك.

٤. يجب على المسلمين الإلمام بتعاليم دينهم الإسلامية ، من الكتاب والسنة ونشرها بين الأمم ، ودعوتهم إلى الجهاد ، لأنه ذروة سنام الإسلام.

٥. يجب إعداد العدة للجهاد ، وعلى الشباب أن يتدربوا عليه بل كل مستطيع من الكهول والشيوخ وحتى النساء ، لأن التدريب واجب من واجبات الجهاد.

٦. يُوصي المؤلف بالوقوف على السيرة النبوية العطرة ، التي هي خير معين للسائرين في طريق الدعوة إلى الله .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. أنفاس طاهرة من لطائف الهجرة النبوية د. أحمد علي الإمام ط١٠ مكتبة الشريف الأكاديمية الخرطوم ٢٠٠٢م.

٣. البحر المحيط – ابن حيان – ط مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٨م.

٤. البداية والنهاية – ابن كثير – ط مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٢م هـ.

٥. البيان في تفسير القرآن – أبو جعفر الطوسي – تحقيق أحمد شوقي وأحمد حبيب بدون تحديد دار النشر .

٦. تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري – تحقيق محمد ابي الفضل ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

٧. تاريخ العرب في الإسلام – جواد على ط مطبعة الزعيم بغداد ١٩٦١م.

٨. تذكرة الدعاة – البهي الخولي – ط٦ مكتبة الفلاح الكويت ١٣٩٩هـ

٩. تفسير القرآن العظيم – الحافظ ابن كثير ط١ دار المفيدة لبنان ١٤٠٣هـ.

١٠. التفسير الكبير – فخر الدين الرازي – قدم له الشيخ خليل ياسين دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٩٩٥م.

١١. تلبيس إبليس – ابن الجوزي – ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

١٢.تهذيب اللغة – أبو منصور الأزهري – ط الدار المصرية مصر بدون تاريخ.

١٣. تهذيب سيرة ابن هشام – عبد السلام هارون– ط المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ١٩٦٤م.

١٤. جامع البيان – محمد بن جرير الطبري – ط دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ

١٥. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي – تحقيق محمد ابراهيم الحفناوي ط ٢ دار الحديث القاهرة سنة ١٤١٦هـ.

١٦. جمهرة اللغة – أبو بكر ابن دريد – ط مؤسسة البابي الحلبي القاهرة بدون تاريخ.

١٧. حياة سيد العرب – حسين عبد الله سلامة – ط دار مصر للطباعة بدون تاريخ.

١٨. حياة محمد – محمد حسنين هيكل – ط ١٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨م.

١٩. خاتم النبيين – محمد ابو زهرة – ط دار التراث لبنان بدون تاريخ.

٢٠. خصائص الدعوة الإسلامية د/ محمد امين حسن – ط١ مكتبة المنار الاردن ١٤٠٣هـ.

٢١. الخصائص العامة في الإسلام د/ يوسف القرضاوي – ط١ مكتبة وهبة مصر سنة١٣٩٧هـ.

٢٢. الدرر المنثور – جلال الدين السيوطي – ط٢ دار الفكر بيروت ١٩٨٢م.

٢٣. الدعوة الإسلامية مناهجها وغاياتها – د/ رؤوف شلبي – ط٣ دار القلم الكويت ١٤٠٢هـ.

٢٤. الدعوة إلى الإصلاح – محمد الخضر حسن – ط المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٦هـ.

٢٥. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة – الشيخ عبد العزيز بن باز – ط الدار السلفية السعودية بدون تاريخ.

٢٦. دلائل النبوة – البيهقي – تحقيق د/ عبد المعطي فلعجي – ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٢٧. الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٧هـ.

٢٨. الرسالة – الإمام الشافعي – تحقيق احمد محمد شاكر – ط البابي الحلبي مصر ١٣٥٨هـ.

٢٩. زاد المعاد – ابن القيم – ط١ دار المطبعة المصرية مصر ١٣٤٧هـ.

٣٠. سراج السالك شرح أسهل المسالك – لعثمان بن حسنين البري الجعلي المالكي ط دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٢هـ.

٣١. سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق احمد محمد شاكر وآخرين دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان بدون تاريخ.

٣٢. سلسلة مدرسة الدعاة – عبد الله ناصح علوان – ط١ دار السلام القاهرة ١٤٢٢هـ.

٣٣. سنن ابي داود سليمان بن الاشعث تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ.
٣٤. سير أعلام النبلاء – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – تحقيق محمد شعيب الأرناؤوطي ومحمد نعيم مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة التاسعة سنة ١٤١٢هـ.
٣٥. السيرة الحلبية – علي بن برهان الحلبي – ط المكتبة الإسلامية بيروت لبنان بدون تاريخ.
٣٦. السيرة النبوية – ابن كثير ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٣٧. السيرة النبوية ابن هشام – تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ سلبي ط دار التراث الإسلامي بدون تاريخ.
٣٨. السيرة النبوية دراسة تحليلية – محمد عبد القادر ابو فارس – ط٢ دار الفرقان عمان الاردن ١٤٢٢هـ.
٣٩. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – محمد بن محمد مخلوف – دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٤٠. شرح الإمام النووي على صحيح – أبو زكريا يحي بن شرف النووي ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م.
٤١. الشرح الصغير أحمد بن محمد الدردير– تحقيق مصطفى كمال وصفي ط دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٨٩م.

٤٢. الصبر في القرآن د/ القرضاوي – ط١ مكتبة هبة القاهرة ١٣٩٧هـ.

٤٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – اسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط٢ دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٩هـ.

٤٤. الصحاح في اللغة والكلام – نديم مرعشلي – اسامة مرعشلي – ط١ دار الحضارة العربية بيروت لبنان ١٩٧٥م.

٤٥. صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري – ط المكتبة الإسلامية استانبول ١٩٧٩م.

٤٦. صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري – ط٨ دار الفكر بيروت.

٤٧. صفة الصفوة – ابن الجوزي – تحقيق محمود فخوري – ط١ دار المعرفة بيروت ١٩٨٦م.

٤٨. طبقات ابن سعد – ط دار صادر بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٩. الطرق الحكمية – ابن القيم ط مطبعة المدني القاهرة بدون تاريخ.

٥٠. العرب قبل الإسلام – جورج زيدان – ط مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م.

٥١. عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم – محمد عطية الابراشي ط٣ البابي الحلبي مصر بدون تاريخ.

٥٢. عيون الأثر ابن سيد الناس – ط١ دار الآفاق الجديدة بيروت بدون تاريخ.
٥٣. فتح الباري – للحافظ ابن حجر العسقلاني – ط١ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت بدون تاريخ.
٥٤. فتح القدير – محمد بن علي الشوكاني – ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٥٥. فصول في الدعوة الإسلامية – د/ حسن عيسى عبد الطاهر – ط١ دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ.
٥٦. فقه الدعوة اختاره من الظلال احمد حسن – ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٠هـ.
٥٧. فقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطي – ط١٠ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١١هـ.
٥٨. فقه السيرة د/ محمد الغزالي – ط ٦ دار القلم دمشق ١٤١٦هـ.
٥٩. الفكر العربي المعاصر – محمود اسماعيل حبني وآخرون – ط١ مكتبة لبنان ناشرون بيروت ١٤١٤هـ.
٦٠. في ظلال السيرة النبوية – محمد عبد القادر ابو فارس – ط٢ دار الفرقان عمان الاردن ١٤٠٨هـ.
٦١. في ظلال القرآن – سيد قطب – ط ١١ دار الشروق لبنان ١٤٠٢هـ.

٦٢. القـاموس المحـيط – مجـد الـدين الفيروزآبـادي – ط٥ المكتبـة التجارية الكبرى القاهرة بدون تاريخ.
٦٣. قواعد الاحكام في مصالح الأنام – العز بن عبد السلام – ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.
٦٤. القوانين الفقهية – ابن جزي الكلبي – ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
٦٥. الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ط دار صادر بيروت ١٩٦٧م.
٦٦. الكشـاف – أبـو البقـاء أيـوب بـن موسـى – ط٢ مؤسسـة الرسـالة بيروت ١٤١٣هـ.
٦٧. لسـان العـرب – محمـد بـن مكـرم ابـن منظـور – ط٢ دار صـادر بيروت بدون تاريخ.
٦٨. مجمع الزوائد – الحافظ نور الدين الهيثمي – ط دار الريان القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٠٧هـ.
٦٩. مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي – ط الرئاسة العامة لشؤون الحرمين مكة ١٤٠٤هـ.
٧٠. محاضـرات تـاريخ الأمـم الإسـلامية – محمـد الخضـري بـك – ط المكتبة التجارية مصر بدون تاريخ.
٧١. محمد الخلق الكامل والرحمة المهداة – محمد الأنور – ط١ القاهرة ١٤١٤هـ.

٧٢. مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي – ترتيب محمود خاطر ط دار الحديث القاهرة بدون تاريخ.
٧٣. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم – محمد بن عبد الوهاب– ط دار الإفتاء المملكة العربية السعودية بدون تاريخ.
٧٤. مرشد الدعاة – محمد نمر الخطيب – ط١ دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠١هـ.
٧٥. مروج الذهب – المسعودي – تحقيق أسعد واغر – ط مكتبة لبنان سنة ١٤٠٧هـ.
٧٦. معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي – د/ محمد زين الهادي ط١ شركة الراسيات الخرطوم السودان بدون تاريخ.
٧٧. المعجم العربي الأساسي – أحمد العايدي وآخرون – ط لاروس تونس ١٤١٩هـ.
٧٨. معجم مقاييس – أبو الحسن أحمد بن فارس – تحقيق عبد السلام هارون – ط دار الفكر لبنان سنة ١٣٩٩هـ.
٧٩. أنساب الأشراف ابو الحسن احمد بن يحي البلذري – تحقيق محمد حميد الله طبعة دار المعارف مصر ١٩٥٩م.
٨٠. مفتاح دار السعاد ة ، محمد بن ابي بكر ابن القيم – تحقيق حمدي الدمرداش ، ط١ مكتبة نزار الباز مصر بدون تاريخ
٨١. المفردات في غريب القرآن الراغب الأصبهاني – تحقيق محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٣٠م.

٨٢. من معارك الإسلام الفاصلة ، محمد احمد باشميل ، ط٣ دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ.

٨٣. النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين المبارك بن محمد ابن الاثير – تحقيق طاهر احمد الراوي محمود أحمد الصباحي ، ط المكتبة العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ.

٨٤. نيل الأوطار ،محمد علي الشوكاني ، ط البابي الحلبي مصر بدون تاريخ.

٨٥. هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب ، أو بكر جابر الجزائري ، ط ٦ دار السلام القاهرة ١٤٢٤هـ.

فهرس الموضوعات

الإهداء	١
المقدمة	٢
تعريف الغزوة	٧
تعريف السرية	١٢
تعريف الدعوة	١٧
حاجة الناس إلى الدعوة والدعاة	١٩
فضل الدعوة إلى الله وأهميتها	٢٢
الفصل الثاني: أثر الغزوات في الدعوة من الهجرة إلى صلح الحديبية .	٢٦
المبحث الأول :غزواته من السنة الأولى إلى الثانية من الهجرة .	٢٧
غزوات ودان (الأبواء)	٢٧
غزوة بواط	٢٩
غزوة العشيرة	٣١
غـزوة بدر الأولـي	٣٢
غـزوة بدر الكـبرى	٣٤
غزوة بني سليم بالكدر	٤٣
غـزوة بين قـينقـاع	٤٥
غـزوة السـويق	٤٨
المبحث الثاني :غزواته من السنة الثالثة إلي الرابعة من الهجرة .	٥١
غـزوة ذي أمـر	٥١

غـــزوة بحـــران	٥٣
غـــزوة أحـــــد	٥٤
غـــزوة حمـــراء الأســـد	٦٤
غـــزوة بني النضـــير	٦٧
غـــزوة ذات الرقـــاع	٧١
غـــزوة بدر الآخـــرة	٧٤
المبحث الثالث :غزواته من السنة الخامسة إلي السابعة من الهجرة .	٧٦
غـــزوة دومـــة الجـــندل	٧٦
غـــزوة الخـــندق	٧٨
غـــزوة بني قـــريظـــة	٨٩
غـــزوة بني لحـــيان	٩٤
غـــزوة ذي قـــرد	٩٦
غـــزوة بني المصـــطلق من خـــزاعة أو المريســـيع	٩٧
غـــزوة الحـــديبية وقصـــة الصـــلح	١٠٧
الفصل الثالث : غزواته من السنة السابعة إلى وفاته	١١٨
المبحث الأول :غزواته في السنة السابعة من الهجرة	١١٩
غـــزوة خـــيبر	١١٩
غـــزوة وادي القـــرى	١٢٣
عمـــرة القضـــاء	١٢٥
المبحث الثاني :غزواته في السنة الثامنة من الهجرة	١٢٧
فـــتح مـــكة	١٢٧
غـــزوة حـــنين	١٣٨

غــزوة الطـــائف	١٤٢
المبحث الثالث :غزواته في السنة العاشرة من الهجرة	١٤٨
غـــــزوة تبـــــوك	١٤٨
الخاتمة	١٥٤
فهرس المصادر والمراجع	١٦٠